سحر عولمة العصر:

البرمجة اللغوية العصبية

(دراسة مبدئية)

تأليف الراجي عفو ربه

د. عوض بن عودة

فهرس المواضيع

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

إن العقيدة السليمة النقية هي لُب المجتمع الإسلامي، وجانب التوحيد منها هو أساسها وجوهرها، وهي روح الإسلام بأكمله. وقد اعتنى الإسلام بالإنسان، وشرع له ما يقيمه في هذه الحياة وفق ضوابط محكمة وعلى ما يُرضي الله ورسوله. و حمى هذه العقيدة الإسلامية من كل باطل، وحافظ عليها سليمة وخالصة لله عز وجل. ولهذا الهدف العظيم اعتنى الإسلام بالمجتمع الإسلامي، فطهره من جميع الشركيات والوثنيات والجاهليات والضلالات والخرافات إلى غير ذلك مما لا يرضى عنه الله تعالى. فأسس الإسلام في قلوب الناس نظام رب العالمين في الكون وسننه التي لا تتبدل ولا تتحول، وهذا النظام لا يسير وفق هوى الناس البتة. قال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً(23)) (الفتح). وقوله: (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً(77)) (الإسراء). وطالب الشارع من الناس عبادته وحده، وأن يُجلّوا سنن الله الكونية، ويطلبوا المسببات من أسبابها التي ربطها الله بها، وأرشد الإسلام الناس إلى الإعراض عن الأسباب الخفية التي لم يُشرّعها الله تعالى، و لا تعود عليهم بنفع ولا خير. فقاوم الإسلام طرق الباطل الفاسدة في مقصدها و وسيلتها: كالسحر والشعوذة و الشعبذة والكهانة والعرافة و التنجيم، وغير ذلك من العقائد و الأفكار المخلة بالدين و أعمال أهل الباطل و الضلال.

و أيضاً، فقد برع علماء الغرب في جوانب عديدة من العلوم و الفنون باكتشافاتهم وإصدار نظرياتهم و فرضياتهم العديدة و المتتالية، فسبقوا المسلمين و برزوا بتقدير من الله العلي الحكيم. و بنوا نظرياتهم على أسس مادية و كفرية و إلحادية بحتة تخالف عقيدة الإسلام و جوهره. و وفدت هذه العلوم والمعارف و

الفنون و التقنيات المتعددة في علوم الطب و النفس و الاجتماع و الإنسان و غيرها، فأشكل على المسلمين أمرها؛ لاحتواها على أفكار مشبوهة، و مبادئ دخيلة. فتقبلها بعض بني الإسلام، و نشرها في أوساط المجتمع الإسلامي من غير جهد لتأصيلها شرعياً و علميا. و لم تُوضّح بجلاء الأمور العقدية من الأمور الفلسفية أو النظرية منها، و كذلك لم تُبيّن الأمور العلمية أو التجريبية المثبتة من الأمور الظنية الذهنية غير المبرهنة. و غفل أيضاً بعض طلبة هذه العلوم من المسلمين عن خصوصية دين محمد عليه الصلاة والسلام، و سيادته في تثبيت عقيدة التوحيد و أمن و سلامة المجتمعات، و إصلاح النفس البشرية و سائر الأمور الحياتية. فأخذ البعض من المسلمين بالإقبال على طلب هذه العلوم المحدثة بلوثتها العقدية المضلة، و ظنياتها وفرضياتها المبنية على أفكار و عقائد إلحادية شركية. و عامة العلوم الغربية المتعلقة بالنفس أو العقل أو الروح تنافي عقيدة التوحيد و تعاليم الإسلام، و كذلك لا تعتبر و لا تتطرق إلى علاقة الإنسان بربه و بمن حوله في إطار هذا الكون الفسيح. بل هذه الأفكار و العلوم التي تدرس الإنسان من جميع جوانبه قد أغفلت حقيقة مهمة، ألا و هي العلوم والحقائق التي لا لبس فيها التي أتت من خالق هذا الإنسان الذي يعلم حاله و مآله. فلا تكاد تجد أي ذكر لتعاليم الله عز وجل و آياته و الحقائق التي بيّنها للناس في هذه الجوانب. يقول الله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: ١٤).

و الرفض و التحذير من هذه العلوم والثقافات الغربية ليس تعسفاً لكونها آتية من الغرب، بل لأنها مخالفة لجوهر الدين و مناقضة له. فلا يُتصور أن يُقبل بفلسفة مادية إلحادية على حساب الدين، ولا تُقبل فرضية ظنية تنافي النقل الصحيح أو العقل الصريح. و ما ثبت علمياً غير مناف للشرع فيطلب و لا حرج، والحكمة ضالة المؤمن. و أما ما ثبت علمياً، و هو ينافي الشرع كالاستنساخ فلا يُقبل و يرفض قطعاً. و لا يُتصور البتة القبول بآراء فرويد و داروين المخالفة للدين، ولا القبول بالأقوال و الآراء و الفرضيات الفلسفية السلبية التي تتعلق بجانب علم الله الغيبي. فالتحكيم كله للشرع، و هو الفاصل في هذه الأمور.

و كذلك فإن المراقب لحركة المكتبة الإسلامية المعاصرة يُصدم بندرة الدراسات والأبحاث المتعلقة بالرد على تلبيسات الأفكار والممارسات الوافدة وأنواعها وتقنياتها المعاصرة التي أخذت بالانتشار في عصر العولمة والثورة المعلوماتية. وهذه المُستجدات ينبغي عرضها على الدين من خلال تظافر الجهود؛ لبيان شأنها، والذي ربما قد يخفى على كثير من الناس، وخاصة في هذه الظروف التي يسهل من خلالها تمرير كثير من نواقض الإسلام والبدع و الضلالات. وتجد في المقابل دراسات وكتب ودورات دراسية كثيرة وافدة تحمل في طيّاتها النافع والضار دون تدقيق لأغراضها. والعجيب أن هناك من يرفض رفضاً باتاً الخوض والرد على هذه الشرور! وهذه التقنيات الوافدة قد تنطلي على الناس، وتسلب أفكارهم من دون جهد في دراستها وتدقيقها، فتفعل بالأمة الأفاعيل بهدوء وصمت تام! ومن هذه الممارسات والتقنيات الخفية ما قد يُخلط و يُدرج بصبغة دينية أو علمية.

وعلى سبيل المثال فقد أُظهرت ممارسات خداع العقل والتأثير والسحر وتقنياتها في وقتنا المعاصر على أنها لا تختلف عن بقية العلوم المقبولة والمألوفة، وأُدرجت فيها حتى يكون لها طابع مخفي وموقّر وناجح، وهذا ما أشار له أحد المتخصصين ويُدعى ليفي ستروس عندما قال: "ينبغي أن يسير العلم والسحر بشكل متوازي؛ لأنهما متساويان من حيث نوعية العمليات الذهنية، والظواهر التطبيقية؛ وذلك لتحقيق النتائج النظرية والعملية المطلوبة". ومن هنا كان اللبس والتشويش الفكري والعقدي بحيث تُقدّم ممارسات وتقنيات السحر على أنها علم أو تقنية متقدمة؛ لإفادة الإنسان، و بالتالي تكون لها مصداقية وفعالية، وتقبل لدى الناس بفعل التسويق والترويج المُخطط لها، والذي قد يُظهر فقط المحاسن والمنافع، ويُخفي المساوئ والمفاسد المترتبة.

لأجل ذلك كله تُقدم هذه الورقة الموجزة؛ لتلقي الضوء على واحدة من هذه التقنيات التي دخلت على المسلمين من أوسع الأبواب من غير تأصيل علمي و لا شرعي، و تفتقر إلى ضبط تحكم الجودة و الأخلاق. تلك هي فيروس و سحر عولمة العصر و فن خداع العقل: البرمجة اللغوية العصبية! فقد ولجت

هذه التقنية في عمق المسلمين، بل في عمق أهل الدعوة والإصلاح. ولقد تمت الاستخارة والاستشارة في هذا الموضوع وبحثه، واطمأنت النفس في إبرازه؛ سائلاً المولى عز وجل أن يحفظ الدين وأهله، وأن يكفينا شر أعدائنا، وأن يتقبل أعمالنا خالصة لوجه. و ينبغي التنويه إلى أن هذا الجهد هو جهد بشري لا يخلو من الأخطاء، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، والله و رسوله منه بريئان. و هذه الدراسة الموجزة تُقدم كدراسة مبدئية يعقبها دراسة تفصيلية بإذن الله تعالى.

وقبل مُناقشة هذه التقنية الدخيلة لا بد من تمهيد موجز ومُبسط حول بعض المفاهيم المتعلقة بها كالعقل والعلم والسحر والعصر الجديد.

****

مفهوم العَقْل

العَقْلُ في اللغة: هو الحِجْر والنُّهَى؛ لأنه ينهى عن القبيح وكل ما ينافي العقل. وفي الاصطلاح: هو أسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ. ويقول الشاعر في وصف العقل واستعماله:

العقل يأمر بالعفاف وبالتقى وإليه يأوي الحلم حيث يؤول

وقد اهتم الإسلام بالعقل، وحث على الحفاظ عليه، وهو من الضروريات الخمس التي صانها الدين، وحرّم ونهى عن كل ما يُسيء إليها. فقد حرّم الإسلام الخمر؛ لأنه رجس يُذهب العقل ومن عمل الشيطان ويصد عن عبادة الله تعالى، وكذلك حرّم كل مسكر ومفتر، وأي شيء يُقاس عليهما. وكذلك حرّم التلاعب بالعقل، ونهى عن شغله في غير طاعة الله تعالى. وحرم السحر والخداع والغش؛ وحث على الإخلاص والأمانة والصدق وتدبر مخلوقاته. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون (٩٠)) (المائدة).

****

مفهوم العِلْم

العِلْمُ أو المعرفة في اللغة: إدراك الشيء بحقيقته. ويُفرّق بين العلم والمعرفة بأن الأول يُطلق على الإدراك الكُلِّيِّ والمركّب، والثاني يُطلق على الإدراك الجزئي أو البسيط. ومن العلم ما هو مترتب على استعمال العقل كالتدبر والتفكر في القرآن الكريم. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)) (يوسف). وقوله: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)) (الحج). وقوله: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)) (العنكبوت). والعلم له أهمية كبرى في حياة الإنسان، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع سواء كان ذلك من المحسوسات أو المغيبات.

وكما قيل: العلم حياة النفوس، و غذائها، ونور العقول والأبصار. وكما أوضح ابن القيم في ردوده في مدارج السالكين على صاحب المنازل في ذكر أن العلم هو ما قام بدليل، ورفع الجهل. فالعلوم كثيرة ومن أجلّها ما جاء في الوحيين: الكتاب والسنة. وأشار إلى أن من العلم ما عُرف بالعقل من التجربة، وبحواس الإنسان من سمع وبصر، والوجدانيات، وبالفكر والاستنباط إن لم يكن عن تجربة. ومنه ما يتفضل به الرحمن من نور، وفرقان، والهام، وحكمة، وفراسة. يقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ (53)) (الشورى). والعلم أساس العمل، والعبادة تكون في الأعمال الصالحات. وفي ذلك يقول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (١٩)) (محمد).

****

مفهوم السِّحْر

ومن جهة أخرى، فإن السِّحْرَ عند أهل اللغة هو كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، وكل ما لطف مأخذه ودق، وهو صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره. وفي المُغْني، السحر: (عقد، و رُقى، وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة). ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– في السحر وأنواعه في مجموع فتاواه: "السحر سمي سحراً؛ لأن أسبابه خفية، ولأن السحرة يتعاطون أشياءً خفية يتمكنون بها من التخييل على الناس والتلبيس عليهم، والتزوير على عيونهم، وإدخال الضرر عليهم وسلب أموالهم إلى غير ذلك، بطرق خفية لا يفطن لها في الأغلب ولهذا يُسمى آخر الليل سحراً، لأنه يكون في آخره عند غفلة الناس وقلة حركتهم، ويقال للرئة سحر، لأنها في داخل الجسم وخفية. ومعناه في الشرع: ما يتعاطاه السحرة من التخييل والتلبيس الذي يعتقده المشاهد حقيقة وهو ليس بحقيقة، كما قال الله سبحانه عن سحرة فرعون: (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) طه/ ٦٥ – ٦٩، وقد يكون السحر من أشياء يفعلها السحرة مع عقد ينفثون فيها كما قال سبحانه (ومن شر النفاثات في العقد) الفلق/٤، وقد يكون من أعمال أخرى يتوصلون إليها من طريق الشياطين فيعملون أعمالاً قد تغير عقل الإنسان، وقد تسبب مرضاً له، وقد تسبب تفريقاً بينه وبين زوجته فتقبح عنده، ويقبح منظرها فيكرهها وهكذا هي قد يعمل معها الساحر ما يبغض زوجها إليها، وينفرها من زوجها وهو كفر صريح بنص القرآن، حيث قال عز وجل: (واتبعوا ما تتلوا

الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) البقرة /١٠٢، فأخبر سبحانه عن كفرهم بتعليمهم الناس السحر، وقال بعدها: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر) البقرة/١٠٢، ثم قال سبحانه: (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) البقرة/١٠٢، يعني هذا السحر وما يقع منه من الشر كله بقدر سابق بمشيئة الله، فربنا جل وعلا لا يُغلب ولا يقع في ملكه ما لا يريد، بل لا يقع شيء في هذه الدنيا ولا في الآخرة إلا بقدر سابق، لحكمة بالغة شاءها سبحانه وتعالى، فقد يُبتلى هؤلاء بالسحر، ويُبتلى هؤلاء بالمرض، ويبتلى هؤلاء بالقتل ...إلى غير ذلك، لله الحكمة البالغة فيما يقضي ويقدر، وفيما يشرعه سبحانه لعباده، ولهذا قال سبحانه: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) البقرة/١٠٢، يعني بإذنه الكوني القدري لا بإذنه الشرعي، فالشرع يمنعهم من ذلك ويحرم عليهم ذلك، لكن بالإذن القدري الذي مضى به علم الله وقدره السابق أن يقع من فلان السحر، ويقع من فلانة، ويقع على فلان وعلى فلانة، كما مضى قدره: بأن فلان يصاب بقتل أو يصاب بمرض كذا، ويموت في بلد كذا، ويرزق كذا ويغتني أو يفتقر، وكله بمشيئة الله وقدره سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) القمر/٤٩، وقال سبحانه: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) الحديد/٢٢، فهذه الشرور التي قد تقع من السحرة ومن غيرهم، لا تقع من جهل من ربنا فهو العالم بكل شيء سبحانه وتعالى لا يخفى عليه خافية جل وعلا، كما قال سبحانه: (إن الله بكل شيء عليم) الأنفال/٧٥، وقال سبحانه: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) الطلاق/١٢، فهو يعلم كل شيء، ولا يقع في ملكه مالا يريد سبحانه وتعالى، ولكن له الحكمة البالغة، والغايات المحمودة فيما يقضي ويقدر مما يقع فيه الناس من عز وذل، وإزالة ملك، وإقامة ملك، ومرض وصحة، وسحر وغيره. وسائر الأمور التي تقع في العباد كلها عن مشيئة، وعن قدر سابق. وهؤلاء السحرة

قد يتعاطون أشياء تخيلية كما تقدم في قوله عز وجل: (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما إن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) طه/٦٥-٦٦، يخيل إلى الناظر أن هذه العصي، وأن هذه الحبال حيات تسعى في الوادي، وهي حبال وعصي لكن السحرة خيّلوا للناس ما أظهروه أمام أعينهم من أشياء تعلموها تغير الحقائق على الناس بالنظر إلى أبصارهم، قال سبحانه : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) طه/٦٦، وقال تعالى في سورة الأعراف : (قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) آية ١١٦، وهي في الحقيقة ما تغيرت، حبال وعصي ولكن تغير نظر الناس إليها بسبب السحر فاعتقدوها حيات بسبب التلبيس الذي حصل من السحرة، وتسميه بعض الناس "تقمير" وهو أن يعمل الساحر أشياء تجعل الإنسان لا يشعر بالحقيقة على ما هي عليه، فيكون بصره لا يدرك الحقيقة فقد يؤخذ من حانوته أو منزله ما فيه ولا يشعر بذلك ، يعني أنه لم يعرف الحقيقة، فقد يرى الحجر دجاجة، أو يرى الحجر بيضة، أو ما أشبه ذلك، لأن الواقع تغير في عينيه، بسبب عمل الساحر وتلبيسه، فسُحرت عيناه وجعل هناك من الأشياء التي يتعاطاها السحرة من المواد ما تجعل عينيه لا تريان الحقيقة على ما هي عليه، هذا من السحر الذي سماه الله: عظيماً في قوله جل وعلا في سورة الأعراف: (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) آية ١١٦".

ويذكر الشيخ محمد الصالح بن عثيمين-رحمه الله- في تعريف السحر وأنواعه في مجموع فتاواه: "السحر، قال العلماء هو في اللغة: "عبارة عن كل ما لطف وخفي سببه" بحيث يكون له تأثير خفي لا يطلع عليه الناس، وهو بهذا المعنى يشمل التنجيم، والكهانة، بل إنه يشمل التأثير بالبيان والفصاحة كما قال عليه الصلاة والسلام: "إن من البيان لسحرا". فكل شيء له أثر بطريق خفي فهو من السحر، وأما في الاصطلاح فعرفه بعضهم بأنه عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والعقول والأبدان فتسلب العقل، وتوجد الحب والبغض

فتفرق بين المرء وزوجه وتمرض البدن وتسلب تفكيره". ويُجيب أيضاً فضيلة الشيخ صالح الفوزان–حفظه الله– على سؤال في بعض طرق السحر واستعراضاته كمن يدخل سيفاً أو سكيناً في بطنه دون أن يتأثر وغير ذلك من الحركات التي لا تصدق في حياة الناس العادية فيقول: "هذا مشعوذ و كذاب و دجال و عمله هذا من السحر التخييلي فهو من جنس ما ذكره الله عن سحرة فرعون في قوله تعالى: (فإذا حبالهم و عصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى). و في قوله تعالى: (فلما ألقوا سحروا أعين الناس و استرهبوهم). و هؤلاء يستعملون ما يسمى بالقمرة و هي التخييل للناس خلاف الحقيقة ... أو يعملون شيئاً من الحيل الخفية التي تظهر للناس أنها حقيقة وهي كذب بان يظهر للناس أنه يطعن نفسه أو أنه يقتل شخصاً ثم يرده كما كان. و في واقع الأمر لم يحصل شيء من ذلك أو يظهر أنه يدخل النار و لا تضره و هو لم يدخلها، و إنما عمل حيلة خفية ظنها الناس حقيقة.. و لا يجوز السماح لهؤلاء بمزاولة هذا الباطل و التدجيل على المسلمين بحيلهم الباطلة لأن هذا يؤثر على العوام. و كان عند بعض الأمراء من بني أمية رجل يلعب فذبح إنساناً و أبان رأسه ثم أحياه فعجب الحاضرون فجاء جندب الخير الأزدي رضي الله عنه فقتله و قال: إن كان صادقاً فليحي نفسه .. و لا يجوز للمسلم أن يحضر هذا الدجل و الشعوذة أو يصدق بها، بل يجب إنكار ذلك و يجب على ولاة المسلمين منعه و التنكيل بمن يفعله و لو سمي لعباً و فناً فالأسماء لا تغير الحقائق و لا تبيح الحرام. و مثله الذي يجذب السيارة بشعره أو ينام تحت كفرات السيارة و هي تمشي أو غير ذلك من أنواع التدجيل".

فالسحر عالم عجيب وغريب، وباب ظاهره فيه الرحمة وهو في حقيقته عذاب أليم. والسحر دوماً على مر التاريخ عاقبته وخيمة، وظُلمة ينزلق فيه الناس، وتضيع فيه عقائدهم و نفوسهم وما يملكون. والسحر له

مشارب وأنواع عديدة: فمنها ما يكون باستخدام الجن، ومنه غير ذلك. وهذا أحد الشعراء قد أجاد في وصف السحر وأنواعه والأحكام الشرعية المتعلقة به فيقول:

للسحر تأثير كما قد ذكره	**إلهنا في نص آي البقرة**
وفي الصحيحين قد رُوي	**في الموبقات وعليه يحتوي**
كذاك من صدق بالسحر حرُم	**دخوله الجنة فاحذر واغتنم**
ولا يضر ساحر من سحرا	**إلا عليه ربنا قد قدرا**
وحكمه الكفر بلا ثمار	**وقتله قد صح في البخاري**
والسحر أنواع إليك عدها	**ولا أقول إن هذا حصرها**
عياف طرق وجبت طيرة	**قد ذُكرت في السنة المطهرة**
كذاك تنجم ونفث في العقد	**والعضة مع بعض البيان قد ورد**
ولا تداو السحر بالأسحار	**بل داوه بسر قول الباري**
حيث الرسول نفسه قد سحرا	**وأرسل الله إليه آمرا**
أن يستعيذ من أذى الشيطان	**بسورتين آخر القرآن**

ومن أنواع السحر عند أهل العلم سحر التخييل، وسحر اللغة أو الكلام؛ وهما مدار البحث في هذا الصدد. يُذكر ابن خلدون –رحمه الله– في مقدمته عن مراتب النفوس الساحرة: (فأوله المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة و لا معين، وهذا الذي تُسمّيه الفلاسفة السِّحر، والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، و يُسمّونه الطِلَّسمات، وهو أضعف رتبة من الأول، والثالث تأثير في القوى المتخيلة. يعمد صاحب هذا التأثير على القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف و يلقي فيها أنواعاً من الخيالات و المحاكاة و صوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر الراؤون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك...ويُسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبدة). فالتأثير على

القوى المتخيلة و الحواس في الإنسان يصدر عن مهارة و إتقان و ممارسة الساحر من تلقاء نفسه المؤثرة من غير معين والتي من شأنها التأثير على قوى الإنسان و مداركه و أحاسيسه و تصوراته. و هذا ما يحدث في أروقة البرمجة اللغوية العصبية من حيث التأثير و التلاعب بقوى الإنسان المتخيلة و حواسه الخادعة. و القوى المتخيلة كما جاءت في تعريفات الجرجاني و ذكرها ابن خلدون في مقدمته و استدل بها الدكتور عمر الأشقر حفظه الله: "القوى التي تتصرف في الصور المحسوسة و المعاني الجزئية المنتزعة منها، و تصرفها فيها بالتركيب تارة و التفصيل تارة أخرى...و هذه القوة إذا استعملها العقل المفكر سميت مفكرة، كما أنها إذا استعملها الوهم في المحسوسات سميت متخيلة". فالمبرمج يقوم بالتأثير على المتلقي من خلال التأثير على القوى المتخيلة لديه (أو ما يُسمى بالعقل اللاواعي). فسحر التخييل عند أهل العلم هو ما يعمد صاحبه بإلقاء أنواعاً من الخيالات، والإيحاءات، والمحاكات، والتصورات، وينزلها إلى حس المُؤثَّر عليه؛ فيراها أنها أمامه ينظر إليها، وليس هناك شيء من ذلك البتة. و هذا النوع من السحر التخييلي يعتمد على جانبين مهمين شديدي التأثير: الخيال و الاسترهاب. فالخيال والذي من خلاله إمكانية التصرف في خيال الفرد، ويرى ما يُراد له أن يرى ويحس به. و الاسترهاب هو الذي تتم به نوعية هذا السحر بعد سحر العيون ثم بث الرعب والخوف والقلق والرهبة في المُراد سحره. فقوة الخداع للعين والتمويه وخطف الأبصار بالخفة مع التأثير بالخوف، كل ذلك يؤثر في خيال الإنسان المُراد سحره حتى يصبح خياله وعقله و بدنه تحت سيطرة الساحر؛ فيريه ما يُريده أن يرى، و يُخيّل إليه ما يُريد أن يُخيّله إليه. و في قول الله تعالى في كتابه العزيز استدلال على هذين الجانبين بدقة متناهية و موجزة كما في قصة النبي موسى عليه السلام مع سحرة فرعون: (قَالَ أَلْقُوْا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) (الأعراف: ١١٦). فهنا تم سحر أعين الناس من قبل سحرة فرعون، وجعلوهم يرون ما يريدونهم أن يروه على غير حقيقته وكأنها حقيقة جلية أمام أعينهم، فرأوا الحبال والعصي تمشي، وهي في واقع الأمر ثابتة لا تتحرك؛ ولكن لشدة تأثير سحرهم

وتخييلهم على الناس أصبح الأمر عندهم وفي واقعهم الداخلي تتحرك وتسعي. وهذا النوع من السحر له صدى قوي في الحيل، والخداع، والمكر، والتمويه، والتخييل، والتأثير على الجهاز العصبي في الإنسان؛ وبالتالي على تصوره، و مواقفه، ورؤيته للأمور على غير حقيقتها. وكل ذلك من عوامل الخيال والرهبة تُؤثّر في أجهزة الإنسان حتى يتملكه غيره، ويسيطر عليه، و يريه ما يُراد له أن يرى؛ فيتبلد حسه ومداركه. وهذا ما دلّت عليه الآية في قوله تعالى: (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) (طه ٦٦). ويقول ابن كثير عن بعض أعمال سحر التخييل: (أنه يكون بإشعال أذهان الحاضرين وأخذ عيونهم بشيء يُذهلهم حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء عمد إلى عمل شيء آخر بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر للحاضرين شيئاً آخر غير ما انتظروه فيعجبون منه جداً. وسحر التخييل بحيث يرى الإنسان الشيء الثابت متحركاً، والمتحرك ثابتاً، ويرى الصغير كبيراً، والكبير صغيراً، ويرى الأشياء على غير حقيقتها كرؤية الحبال ثعابين). و في سحر التخييل يقول ابن القيم –رحمه الله– في التفسير القيم: (فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناس مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به مع أن هذا تغيير في إحساسهم فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم و طباعهم!؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية و التغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس و البدن؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركاً والمتصل منفصلاً فما المحيل لأن يغير صفاته حتى يجعل المحبوب إليه بغيضاً و البغيض محبوباً و غير ذلك من التأثيرات).

وأما النوع الآخر من السحر: هو سحر اللغة أو الكلام. فيُطلق هذا النوع من السحر على الفصاحة وقوة البيان، أو التأثير و استمالة قلوب وعقول الناس بالباطل ترهيباً وتشويقاً وخداعاً و تغييراً في أُسلوب و قواعد اللغة بطرق خافية. وهذا ما يلجأ إليه السحرة وأهل الباطل للوصول لمبتغياتهم للتشويش وخلخلة المعتقدات والقناعات. وكما أوضح أهل العلم: إن استعمال الفصاحة والبيان الظاهر في إظهار الحق

وإبطال الباطل، هو عمل مشروع محمود. وقد امتن الله تعالى على عباده بأن علّمهم البيان وذلك في سورة الرحمن بقوله: (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (٤). والبيان هو اجتماع الفصاحة، والبلاغة، وذكاء القلب مع اللسن.

ومن ناحية أخرى؛ فإن استعمال الفصاحة والبيان في الخداع، والحيلة، و التمويه، وقلب الحقائق على الناس هو عمل محظور مذموم، وقد يبلغ درجة الكفر. وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحرا) (صحيح الجامع ٢٢١٦). وقوله أيضاً: (يا أيها الناس، قولوا قولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان، ثم قال: إن من البيان لسحرا) (صحيح الأدب ٦٧١). وقوله: (إن من البيان سحرا، وإن بعض البيان سحر) (صحيح الترمذي ١٦٥١). وقوله: (إن من البيان لسحرا. أو إن بعض البيان لسحر) (صحيح أبي داود ٤١٨٦). وقوله: (إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكمة) (صحيح الأدب ٦٦٩). فكل هذه الأحاديث محمولة على ذم باطل الكلام، و حمد الحق منه. ولذلك فإن استعمال الفصاحة والبلاغة وقوة البيان في الحق بالحجج الناصعة، والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، أمر محمود، ويحث عليه الدين مالم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب المذموم. ولذلك؛ فإن استخدام وسيلة قوة اللغة والبيان في تصوير وتلبيس الباطل في صورة الحق بحيث يروق للسامع، ويذهب عقله، ويستميل ويخلب قلبه، ويغلب على نفسه حتى يصرف الشيء عن حقيقته، فيلوح للناظر في معرض غيره، هو أمر مذموم، وهو من السحر المنهي عنه، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر. ولذلك أدخل مالك الحديث في "الموطأ" في "باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله". وبهذا جزم ابن العربي وغيره في شرح الحديث (إن من البيان سحرا). وهذا هو الصحيح في تأويله، لأن الله تعالى قد سمى السحر فساداً في قوله تعالى: (مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ) (يونس ٨١). وقال صاحب المنتقى شرح موطأ مالك: (الذي ذهب إليه مالك رحمه الله، له وجه إن كان البيان بمعنى الإلباس والتمويه عن حق إلى باطل فليس يكون البيان حينئذ في المعاني، وإنما يكون في الألفاظ والمبالغة في التمويه والتلبيس؛ فيُسمى بياناً بمعنى أنه أتى في ذلك بأبلغ ما يكون من بابه، فيكون في مثل هذا قد سحره وفتنه

فيكون ذلك ذماً، وأما البيان في المعاني وإظهار الحقائق فممدوح على كل حال). ويشير صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد أن سحر البيان محمول على الذم؛ لأن استعمال البلاغة والفصاحة بلحن الخطاب وزخرفة الحجج من صاحب الحق يصرف الحق. ويقول الشاعر في ذلك:

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير

وفي الغرب فإن علماء الاجتماع يُقسّمون السحر إلى أبيض وأسود. فالسحر الأبيض هو ذلك السحر الذي يُمارس بقصد جلب الخير للآخرين، ويخدم أهدافاً علمية واجتماعية ونفسية وطبية. أما السحر الأسود فهو ذلك السحر الذي يُمارس بقصد إلحاق الضرر بالآخرين. وكلا القسمين يستخدم نفس أساليب السحر وطقوسه، ولكن الفرق بينهما هو غرض استخدامه: للامتياز أو الخير أم للشر. وأما كيفية و طرق عمل السحر في الغرب فهو كالتالي:

أ. سحر يؤثر من تلقاء نفسه. وهذا أقوى أنواع السحر ويصدر من خلال الشيطان أو أحد أعوانه من دون الإستعانة بأي شيء مادي.

ب. سحر يقوم به الساحر بمساعدة من الأرواح الشريرة والشيطانية. وهذا مفعوله لا يدوم ومن السهل إبطاله وهو أضعف من الأول.

ج. سحر يستعين فيه الساحر بقوة الحروف الهجائية، والأعداد، والكواكب، والأجرام السماوية، والخيالات، والتصويرات، والأوهام، والأصوات، والأحاسيس. وهذا من أصعب أنواع السحر.

ومن أمثلة أدوات السحر والطقوس السحرية التي تُمارس أحياناً بدون شعور دارسيها: ترسيخ النية والغاية، والمفتاح، وفتح وغلق الدائرة، فتح وغلق البوابات، والمثلث، والصور، والأشكال، والتضحية، والابتهالات، وأسماء القوى والأرواح الخفية، والحروف الهجائية، والأعداد، والمحاكات، والخيالات،

والشموع المبهرجة، والبلورات، والنجوم المدبّبة الخمسة، وتقليد الأصوات والأنماط، والمقامات، والأغاني، والصيام وغيرها من الأشياء المطقسة سحرياً. وهذه الطقوس تَّوجه بطريقة لا شعورية في الوعي. يقول كولن لو: "تأتي القوّة السحرية من ارتباط رمز وشخص من يستطيع جلب ذلك الرمز إلى الحياة، بتوجيه وتحديد وعيهم خلال الرمز، بطريقة عمل التجميد من خلال بندقية التجميد. تأتي القوّة السحرية من الشخص (الأشخاص). والمفتاح الرئيس للطقوس السحرية هو التلاعب وتغيير الوعي". و يذكر اليستر كراولي في (التفسير المبدوء للسحر الرسمي): "لست قلقاً لإنكار الحقيقة الموضوعية لكلّ الظواهر "السحرية"؛ فإذا هي أوهام، فهي على الأقل حقيقية كالعديد من الحقائق المؤكّدة للحياة اليومية. فما هو السبب الوهمي من رؤية الروح في مثلث الفنّ؟ فكلّ خبير في علم النفس، سيجيب: "ذلك السبب يكمن في دماغك." وكلّ انطباعات الإحساس معتمدة على التغييرات في الدماغ".

ويضيف كولن لو أيضاً ما يلي:

- "خلاصة الطقوس السحرية الرسمية (في إطارها المبدئي التي أوصلت إلى أوروبا منذ قرون) هي أن الساحر يعمل ضمن دائرة ويستخدم أدوات كهنوتية وأسماء سحرية للكيانات المختلفة؛ لاستدعاء أو تحضير القوى والأرواح الخفية".
- "الفكرة أن "الكون الطبيعي" هو ناتج نهائي لـ"عملية الوعي" وهو في الحقيقة أول مبدأ من الفلسفة الباطنية الشرقية، وهو في جذور المذهب القبلاني للإنبثاق والأسفار العبرانية، وهو مُتبنّى من قبل العديد من سحرة قرن العشرين كتكملة مفيدة إلى أي نموذج تقليدي من السحر التي فُطموا عليها – عندما يقبل الواحد هذا فإنه يكون من الممكن خلق "فكّر الأشكال"، و "العناصر الاصطناعية"، و "صور طلاسمية".

- "إنّ وظيفة مبدأ الطقوس السحرية هي عمل تغييرات واضحة المعالم في الوعي. بإمكان تمييز الطقوس السحرية من غيرها عن طريق تركيزها على التسبب في عمل تغيير في الوعي إلى حالات وأوضاع ليست سهلة المنال عادة، مع الوعي بتسبّب التأثيرات التي تُعتبر مستحيلة أو غير محتملة من قبل أكثر الناس في هذا الوقت".
- "السحر في النهاية هو مجرد تلاعب في الوعي".
- "والذي ينبغي إدراكه هو أن محتوى الطقوس السحرية عبارة عن وسيلة إلى نهاية. النهاية في التلاعب المتعمّد للوعي، وهذا هو الحدّ الفاصل في الأسلوب السحري".
- "الطقوس السحرية تُصمّم لإنتاج معيّن وإلى حد كبير "المحدودية" تتغيّر في الوعي، وهذه معمول به من قبل، فقد أستعمل خريطة معيّنة من الوعي، وهناك المراسلات الرمزية ضمن الخريطة التي يمكن أن تُستعمل في بناء الطقوس".
- "إنّ الدائرة هي المكان الذي فيه يكمن تنفيذ العمل السحري وهي حاوية للقوّة".
- "خاصية الوعي السحري الذي يميّزه من الوعي الطبيعي هو أن في أكثر الأعمال السحرية يتحرّك الساحر خارج المنطقة التي تكون سهلة الوصول "عادة" من الوعي. "أكثر الناس الطبيعيين" سيقاومون المحاولة لتحريك وعيهم خارج دائرة الحالة الطبيعية، وإذا ضغط أكثر من اللازم عليهم فإنهم سيضطربون، أو يتوجعون، أو تصيبهم نوبات هستيرية ".

و يضيف العالم النفساني الألماني فراتز يو في "نماذج السحر" والذي فيه يتكلم عن كيفية ملائمة ومواكبة السحر لحالة العالم بأن نماذج السحر تتفاوت في تقنياتها وتاريخها ومن أشدها تأثيراً في ممارسة الطقوس السحرية التي ترتكز على ما يلي:

١. نموذج الروح. وهذا النموذج هو من أقدم نماذج السحر التي من خلاله يتمكن الساحر من التخاطب مع القوى الخارجية وجعلها تحت متناوله للتأثير على خلق الله. ومن أكثر دعاته البارزين في عصرنا هذا هم فرانز باردون و اليستر كراولي.

٢. نموذج الطاقة. وهذا النموذج قد ظهر في الغرب بثوب جديد و ملحوظ بظهور التنويم المغناطيسي نحو نهاية القرن الثامن عشر عن طريق ميسمير. وقد أشاع هذا بأعجوباته الشفائية منتهجاً النهج القديم للتنويم المغناطيسي والمغناطيسية ولكن بصياغة جديدة مقننة. فأشاع نظريته "جاذبية الحيوانات" الذي رأى منها كقوة غير ملحوظة متأصّلة في الكائنات الحية لكنّه أيضاً عمل على استعمال أثقال من المغناطيسات المعدنية للأغراض المشفية. ومن الذين طوّروا هذا النموذج من السحر هم بولوير ليتن الذي قام هو الآخر بافتراض وجود طاقة السحر غير الملحوظة. وكذلك منهم ريتشينباتش و إليفاس ليفي و بلافاتسكاي الذي تبنّى نظريات برانا من علم وظائف أعضاء اليوجا. ومنهم سحرة من الصين مثل تشي الذين استخدموا هذا النوع من السحر. وكذلك قام شامان بإيجاد خليط بين سحر الروح وسحر الطاقة كأن يدعو أرواحه أو آلهته لإعطائه قوّة أو يستعمل قوته في التأثير على الآخرين وابتزازهم.

٣. نموذج النفس. وهذا النموذج قد بلغ أوجّه بعد نظرية فرويد للاشعور. ويُنجز فيه السحر من قِبل الغيبوبة السحرية أو الإيحاءات و استعمال الرموز، أو بمعنى آخر المساهمة الحسّية الانتقائية كأدوات الرابطة وكوسائل الاتصالات بين ضمير الساحر و سلوكه اللاشعوري المسؤول عن وضعه في التأثير. فالساحر النفسي هو مبرمج لرموز وحالات مختلفة من الوعي. وقد برز في هذا النوع من السحر أيضاً العالم النفساني اليستر كراولي و إسرائيل ريجاردي و ديون و وليام بتلر و فرانسيز و وليام جراي.

٤. نموذج المعلومات. أساس هذا النموذج يُقدم على شكل طاقة تُجيب عما هو محتاج من المعلومات لعمل السحر والتأثير و هي قد تكون قوانين مدعوة من الطبيعة أو الأوامر المباشرة. وأساسه أيضاً يُقدم على

شكل معلومات ليس بها كتلة أو طاقة تشبّه الظواهر الكمّية وعن طريقها يتمكن الساحر مثلاً من أن يربط نفسه بوسط ككائن حي أو أيّ أداة لخزن ذاكرة أخرى. فطلب نموذج المعلومات يعتمد على علم أنظمة التحكم الآلي أو علم أنظمة السيطرة (سايبرنتكس أو سيبرماجيك). وهذا النموذج لا يعتمد على غيبوبة سحرية لإحداث تأثيراتها.

٥. نموذج ميتا. ميتا هي كلمة إغريقية وتعني التغيير أو التأثير أو رؤية المخفي أو ما وراء الشيء (الماورائيات أو علم الغيب). ولابد من الإيمان في رؤية ما وراء الأشياء بقوة حتى تأتيك القوة والطاقة والتحدي لممارسة السحر والتأثير. وهذا ليس نموذجاً في حد ذاته وإنما تكمن فيه التعليمات والتنظيمات وأساليب الاتصال في استخدام بقية النماذج المذكورة أعلاه وتنظيمها وتحديد أهدافها. ويقول مارك باست أن لغات ميتا هي من اللغات الغريبة العامة من السحر وهي من الأسماء البربرية وتدعوا إلى استعمال اللغات الأجنبية مثل العبرية أو السنسكرتية. وكل الأنظمة السحرية تميل إلى توليد لغتهم التقنية لوصف التجارب والأساليب السحرية التأثيرية ضمن إطار مشترك. ويخلق السحرة نماذج ولغات ميتا ليس فقط كأدوات سحرية لأفعال السحر ولكن أيضاً لفتح ظلال من التجارب والخبرات والاستفسارات التي يصعب وصفها بشكل واضح. والهدف هنا من لغة ميتا هي الدقة في عملية الاتصال .ويمكن تطوير الاتصالات غير الحرفية للعمل التجريبي في التخاطر والتخييل والتنجيم السحري. والتجارب في هذه المجالات أكدت على أن الصور البصرية والألوان والصور الكتابية تكون أسهل في الإرسال بين الأشخاص في الحلم أو الفضاء التخييلي من الكلمات أو الحروف لوحدها. ولذلك كانت هناك محاولات لخلق أنظمة الاتصالات المستندة على استعمال اللون والروائح والمنظورات المكانية والأماكن الصورية والسياقية وذلك في محاولة لتأسيس الاتصالات في الحلم المشترك أو محاولة لربط الوعي بالتخييل أو التنجيم. ومن تعليمات وتوصيات ميتا المشتهرة للسحرة هي "دوماً قم بممارسة النموذج الأكفأ لتحقيق أهدافك" ومنها: "لا شيء

صحيح، كل شيء مسموح به". ومنها: " لا فشل مع الإستمرار". ومنها: "لا مرونة لا تأثير". ومنها: "العقل الباطن هو المفتاح ."وغيرها كثير من التعليمات لممارسة نماذج السحر. والمتأمل في البرمجة فإن رحاها يدور على ذلك وخاصة دعائمها الثلاثة الأساسية التي سوف نتعرض لها لاحقاً في سياق مفهوم البرمجة، والتي ينبثق منها بقية الافتراضات وخاصة علم أنظمة السيطرة (سايبرنتكس). وهذا فقط تأصيل للكلمة في السحر مع أن تطبيقات ميتا عديدة في السحر فمنها مثلاً يكمن في الجانب اللغوي من مقاومة التعميمات والحذف والتشويه اللغوية.

والسحر بأشكاله المختلفة في الإسلام من الموبقات، وهو قرين الشرك بالله. في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله، والسحر) (البخاري ٥٣٢٢). والسحر من أعظم الكبائر، و من نواقض الإسلام، ولا يُفلح الساحر حيث أتى. وقال الإمام النووي-رحمه الله- إن العمل وتعلم السحر وتعليمه حرام. يقول ابن خلدون في مقدمته: (لم تفرق الشريعة بين السحر الطلّسمات و الشعبذة و جعلته كله بابا واحدا محظورا، لأن الأفعال إنما أباح الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا ضرره بالوقوع، و يلحق بها الطلّسمات؛ لأن أثرها واحد، كالنجامة التي فيها ضرر باعتقاد التأثير، و الطلّسمات و الشعوذة بابا واحدا لما فيها من الضرر و خصته بالتحريم). و في ذلك يؤكد الدكتور عمر الأشقر في كتابه "عالم السحر و الشعوذة" على أن السحر بأنواعه المتعددة سواء كان حقيقياً أو تخييلياً أو مجازياً حكمه التحريم و قد يبلغ مبلغ الكفر لما فيه من تلاعب و تأثير و إفساد لعقائد المسلمين.

وبذلك التمهيد الموجز السابق في الحديث عن مفهوم العلم والعقل والسحر ندخل في مفهوم البرمجة اللغوية العصبية، والتي هي محور حديثنا في هذه السطور. فقد بيّنا أن العلم هو أساس العمل الصالح الذي نتقرب به إلى الله تعالى، وأن إحدى طرقه يكون بواسطة العقل. وهذا العقل ينبغي أن يُصرف في طاعة الله

عز وجل، وفي كل عمل مشروع وصواب. وذكرنا أيضاً أن للسحر أنواع تدخل في مجال نقاشنا هذا وهما: سحر التخييل، وسحر اللغة أو الكلام. و بهما يتمكن الساحر أو المُمارِس من التصرف في خيال و عاطفة و أفكار الفرد واللعب في جهازه العصبي في اللاشعور بحيث يرى ويحس ما يُراد له أن يرى ويحس به. وأشرنا أيضاً إلى سحر اللغة أو الكلام، والذي يعمد صاحبه إلى التأثير على المتلقي بقوة بيانه و زخرفته في الباطل فيُصيب منه ما يُصيب. فالمذموم والمحرم هو استعمال قوة اللغة والبيان ولحن الخطاب في تصوير وتلبيس الباطل في صورة الحق بحيث يروق للمتلقي، وتذهب عقله، وتستميل قلبه، وتخدعه، وتغلب على نفسه حتى يُصرف الشيء عن حقيقته، وتلوح في معرض غيره. والبرمجة العصبية اللغوية تدور رحاها حول هذين النوعين من السحر، والذي نحن بصدده في هذه الورقة الموجزة.

مفهوم البرمجة اللغوية العصبية

و قد انبهر جمع من الناس في الآونة الأخيرة بما يُسمى بالبرمجة اللغوية العصبية، وأخذ البعض يُسوّق لها وينشرها في أوساط المسلمين دون إرجاعها الجدّي لكتاب الله وسنة رسوله، وتقبل هؤلاء كل ما في هذا الفلسفة أو التقنية دون التبصر بها قبل مطالبة وإلزام الناس بها. فأخذت في الانتشار في أوساط عديدة منها: الصحة، والتربية، والتعليم، والتدريب، والسياسة، والاقتصاد، و خدمة المجتمع والأسرة، والتجارة والتسويق والدعاية، وغيرها من الشؤون والفنون الأخرى. وقد تم البحث والتمعن في هذا التقنية من المصادر العربية والأجنبية، وتبيّن الكثير منها ما قد يخفى على الكثير، والذي لا بد من إحاطة المهتمين بها حتى يكونوا على دراية بالنافع منها و الضار. ولذلك كان من الضروري عرض هذا التقنية على ديننا؛ ليتبين منه المفيد ويُترك ضده.

إن البرمجة اللغوية العصبية عند البعض قد صُوِّرت للناس على أنها الحل المُطلق لمشاكلهم وتحقيق آمالهم، وأن الناس بحاجة ماسة إليها حتى يتمكنوا من تغيير عاداتهم، والتأثير على غيرهم. وروّجوا للناس بأن المثابرة، والعمل الدءوب، والحرص، وغيرها من متطلبات النجاح ليست كافية للنجاح دون وجود آلية متقنة؛ ويتمثل ذلك عن طريق ما يُسمى تعريباً بالبرمجة اللغوية العصبية، أو بأصلها في اللغة الإنجليزية: (Neuro-Linguistic Programming)، أو اختصاراً (NLP). وهذا يعني أن هذه الفلسفة أو التقنية تهتم بالتعامل مع الجهاز العصبي للإنسان؛ لأنه في اعتقاد أصحاب هذا التقنية أن الجهاز العصبي يتحكم بعدة وظائف من جسم الإنسان للقيام بالأداء والفعالية المتطلبة. ويتم ذلك بالتحكم بشعور وحواس الإنسان، وطرق تفكيره، وسلوكه، وتصرفاته. وعن طريق التعامل مع هذا الجهاز الحسّاس يُمكن التخاطب معه بآلية معينة؛ لتكيفيه على حسب الرغبة من حيث السلوك، والتفكير، والحواس. وأيضاً برمجة دماغ الإنسان، وحسه وذهنه، وتصوراته على حسب عوامل الجودة المطلوبة، وحسب تجاربه وخبراته؛ ومن هنا جاء مُسمى لغة البرمجة العصبية. ولذلك؛ فهي دراسة تأثير اللغة الشفهية وغير الشفهية على الجهاز العصبي، وتتوقف فعالية هذه التقنية على مدى التواصل والتأثير في الجهاز العصبي؛ ومن هنا جاءت أهمية التواصل معه. و البرمجة اللغوية العصبية هي عبارة عن خليط مضطرب من العلوم والفلسفات والديانات. و من مبادئ هذه التقنية أن الواقع الموجود قد يختلف عن ما هو مُتَصوّر في ذهن الإنسان من معتقدات، وأفكار، ومدارك، وتصورات، ومشاعر، وعادات، وقدرات، وغيرها من الأمور المرتبطة بالفرد. ولذلك تهدف هذه التقنية لإعادة صياغة هذه الأمور بحيث تصبح في داخل الفرد وذهنه لتنعكس على تصرفاته. و هذه التقنية يزعم أصحابها بأنها تستطيع بواسطة طرق وأساليب معينة في زيادة سرعة التعلم، والتذكر، وتنمية القدرات، وتعديل أو استبدال السلوك والتصرفات، وهي تحاول إلى إعادة هيكلة التفكير وفهم الآخر أو العالم. وتتم هذه العملية من خلال خلق وتعديل أنماط سلوكية وتقليد ومحاكاة الآخرين.

وعند بدء دراسة وتطوير هذه التقنية في أوائل السبعينات أعاد كل من جون جرندر و ريتشارد باندلر صياغة منهجية و نمذجية لبعض ممارسات أطباء التحليل النفسي الشفائي، و ذلك من خلال دراسات مبنية على أبحاث سابقة و مشاهدات لشخصيات مشهورة في التأثير و الاتصال بالآخر أثناء الجلسات النفسية العلاجية و الاستعراضات في مسارح السحر. و عكف مُطوراها جرندر و باندلر على دراسة البُنية التي يقوم عليها العلاج النفسي التحليلي (و هو السحر ذاته) للأشخاص والأسر من خيال ولغة في إنتاج أمور مذهلة سحرية مستفيدين من أساتذتهم وخبراتهم الحسابية والحاسوبية واللغوية والعلمية. و من ثم وضعا الأسس والدعائم والارتباطات والرموز والإطارات النظرية والتطبيقية التي يقوم عليها ذلك السحر التخييلي والكلامي؛ فتم تطوير هذه التقنية ولكن بإطار منهجي و طقوسي. فهما قد اكتشفا أن سحر اللغة والمنطق و الخيال و الاتصال يعتمد في الحقيقة على قوة وذكاء خطاب اللغة والعقل؛ فاستغلا ذلك في الوصول لمبادئ هذه التقنية وطرقها. . ولذلك ألفا كتابيهما "بُنية السحر"– المجموعة الأولى و الثانية – بصياغة جديدة لأسس و أساليب و نماذج و فنون التأثير اللغوي و الخطابي السحري. و يقولان في مقدمة الكتاب عن سبب نشره لغرض تدوين الممارسات الغريبة و المذهلة: {كان تدوين القوّة والأعجوبة في خلال الأزمنة الماضية لممارسي السحر معروفاً فقط من خلال الأغنية والقصّة. و كان دائماً وجود السحر والسحرة و الساحرات و الشامان و الكهنة والعرافين مثيراً لدهشة الإنسان العادي}. ويؤكدا على غايتهما من تأليف كتاب بُنية السحر بقولهما: {هدفنا في هذا الكتاب ليس لإنكار النوعية السحرية للسحرة العلاجّيين الذين استفدنا من خبراتهم، و لكن بالأحرى لنُظهر أن ذلك السحر هو كغيره من النشاطات البشرية المعقّدة الأخرى، له بُنية و قابل للتعلّم إذا توفرت موارده. و هذا الكتاب فقط عبارة عن مصدر واحد للتعلم التدريجي للساحر. و هذا الكتاب أيضاً له بُنية كالسحر الذي يصفه}. و يضيفا حول هذه الغاية من الكتاب: {لإنكار هذه القدرة أو ببساطة ربطها بالموهبة أو الحدس أو العبقريّة هي عملية تحديد وتقليص قدرة الفرد في مساعدة الناس. و لم تكن رغبتنا في

هذا الكتاب لتُسأل جودة تجربتنا السّاحرة لهؤلاء السحرة العلاجيّين، ولكنّ إلى حدّ ما لإظهار أن هذا السّحر الذي يؤدّونه له بُنية مثل الأنشطة البشريّة المعقّدة الأخرى كالرّسم أو تأليف الموسيقى أو وضع رجل على القمر. و لذلك فهو ممكن وقابل للتّعلّم على اعتبار وجود الموارد المناسبة. ونحن لا ندّعي أننا قد اكتشفنا الحقيقة أو معظم الطّرق القويّة للعلاج النّفسيّ خاصّة، ولكن نرغب فقط لإعطائك مجموعة معيّنة من الأدوات التي تبدو إلينا أنها ضمنيّة في أفعال هؤلاء المعالجين؛ حتّى قد تبدأ أو تواصل العمليّة الأبديّة للتّحسّن و إثراء و صناعة المهارات التي تعرضها كمساعد للناس}. و أيضاً في مقدمة الكتاب الأول أبرزا المؤلفان قصة الملك الساحر مع ابنه الأمير في إشارة لماهية البرمجة اللغوية العصبية في التأثير على خارطة الرأس و الواقع بحيث استطاع الملك الساحر من التأثير على ابنه بحيث يرى ما يشاء أبوه أن يراه من عدم وجود إله و أميرات وجزر في محيطه و واقعه.

و يذكر جون جرندر معلقاً على طبيعة دراساتهم في "بُنية السحر": {نعم، السحرة العلاجّيون الذين درسناهم كان لديهم طقوسهم السحرية– و إريكسون كان أقل من البقية}. و يضيف أيضاً: {ضمن سياق تلك الأوقات، وُصف أداء النماذج المتعلقة بـ بيرلز وساتير من قبل معاصريهم كسحر (و كان بالفعل سحراً مقارنة بأداء معاصريهم). و قد أنهينا أنا و باندلر في ذلك الوقت في مكانه في بن لوموند جلسة عمل مبكّرة في ما نُشر لاحقاً بـ"بُنية السحر". و كنت أفكّر بصوت عال حول ما كنّا نعمل وقلت شيئاً عنّا بتقديم تركيباً للسحر. فقال (باندلر) "ماذا قلت للتو؟" فأجبت، "نحن نقدّم تركيباً للسحر الذي يمارسانه فريتز وفرجينيا، انت تعرف، تركيب السحر." فنحن كلانا كنّا مسرورين بعنوان الكتاب. و كنّا مدركين لمفهوم (يانكي في محكمة الملك آرثر) حول الاتصال بين التقنية والسحر. و طلب باندلر في ذلك الوقت من الرّسام الأسترالي جوش دولان رسم صورة ساحر لتصبح غلافاً لكتاب "بُنية السحر". و سُررت حين تجوّلي في إحدى المكتبات و وجدت كتابنا "بُنية السحر" مبوّباً ضمن عناوين حركة "العصر الجديد"}. و يقول عن الطقوس السحرية: {جميع

الأنماط عندما تُرمّز فإنها تمثّل مجموعة من التعليمات حول أين تضع انتباه الواحد. يتبّع بعض الممارسين هذه التعليمات كما لو أنّها الطريق الوحيد لإنجاز النتائج الإيجابية المرغوبة. و يستعمل الآخرون النمط المُرمّز كدليل لتعلّم تعقيدات النمط وبعد ذلك يُحرّرون أنفسهم من الحاجة للخنوع بعد هذه الخطوات ويطوّرون الكثير، و العديد من الاختلافات على النمط المُرمّز. فالمجموعة الأولى تُعتبر طقوسية والثانية ليست طقوسية}.

و هذان الكتابان يُعتبران من أهم كتب هذه التقنية الذي غالبه يتحدث عن نموذج "ميتا". ويذكر روس بيل في (ما بعد "NLP"): {يزعم المؤلّفان أنهما قد فحصا و عزلوا أشكال اللغة المعيّنة للعملاء من خلال استعمال قواعد لغويّة محددة. و طبقًا لهذه القواعد فإن العميل يقدّم تركيباً ظاهريًّا سطحياً أوّليًّا. فعلى سبيل المثال، العميل يقول: "أنا خائف جدًّا". فهذه الجملة ناقصة المعنى و المفقود منها هو التركيب العميق والتي سيفحصه المعالج. وقد بحثا باندلر و جرندر عن السحرة العلاجيّين مثل فريتز بيرلز و فيرجينيا ساتير و ملتون إريكسون لرؤية كيف سيتولّون التراكيب الظّاهريّة في عبارات المرضى أو المراجعين}.

ومن خلال الإطلاع على هذه التقنية؛ فإنها تهتم وتقوم على الدعائم أو الاعتقادات التالية التي في غالبها مشابهة لعلوم وحكم القبّالة و الثيوصوفيا والسينتولوجيا. و مثل هذه الأفكار ربما تكون واضحة بالنظر في رسالة الدكتوراه لحايوت–مان، والتي احتوت على استخدام فكرة التكوين الآدمي لدراسة إعادة البناء الإنساني الكلي– الذي يهتم بالعقائد والفلسفات والحريات وعلاقات الكائنات. والتعليق على هذه الاعتقادات لا يمكن إدراكه في هذا المقام، ولكن سوف نقتصر على الدعائم الثلاث بإيجاز؛ لأنها هي الدافع وراء هذه الفلسفة:

– الخارطة ليست الحدود أو المنطقة أو الواقع. وهذه العبارة لها جذور من حكم القبّالة أو القبلانيين (فلسفة دينية عبرانية سرية). و أيضاً تُرجع إلى العالم البولندي الفريد كورزيبسكي (Korzybski) في كتابه

(*Science and Sanity*). و المغزى من هذه المُسلّمة أن الناس يتفاوتون في تصوراتهم للأشياء بحسب تكييفهم للواقع وخبراتهم وتجاربهم وخرائطهم الذهنية الداخلية. وهذا يعني أن كل شيء في هذا العالم بالنسبة للفرد هو عبارة عن تصورات ونماذج ذهنية غير مكتملة تتغير بحسب الخبرات والمعلومات التي تستلمها الحواس ويتم تصورها في الدماغ. فبتغيير هذه الخرائط الذهنية لدى الفرد؛ فإن بالإمكان خلق تصورات وحقائق جديدة لديه، و بذلك يتغير سلوكه تبعا. فمبرمج اللغة العصبية ما عليه إلا تفكيك الخرائط الحالية، و إبدالها بتصورات ذهنية أخرى مطلوبة ذات نمط مرغوب؛ لتحقيق التغيير المؤثر. وهذا المفهوم المادي المطلق غير المنضبط له أثر سلبي في حياة الفرد إذ أنه يتحتم عليه عدم وجود حقيقة يقينية في هذا الوجود، وكل شيء هو مردود للعقل وهو ظني و ذهني بحسب تصور الإنسان له. وهذا التصور العقلي المطلق مخالف لواقع التشريع والتكوين الرباني. فهناك حقائق وعقائد ثابتة أتى بها الشارع الحكيم لا يمكن التشكيك بها، وليست قابلة للتأويل والتعطيل والتمثيل والتشبيه والتصور الذهني الناقص. وبذلك فكل شيء في هذا العالم هو عقلي ظني بحسب ما تتصوره وتعيشه مخيلة الفرد. ولا تُقارن هذه المسلمة المطلقة على إطلاقها بالقاعدة الفقهية: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره". فالحكم على الشيء فرع عن تصوره يقتضي توفر التصور المتكامل لا الناقص للشيء ليرتقي بدرجة الحكم عليه. وهذا الحكم اجتهادي فقهي وليس اعتقادي و عام كما هو الحال عند أهل البرمجة. و كذلك كما ذكر الشيخ محمد قطب في مذاهب فكرية معاصرة إلى أن الإسلام حظر على العقل التفكير و مجاوزته في أمور ثلاثة تُعتبر الخطوط الحمراء للعقل بحيث تُصان طاقته و لا تتبدد في أمور لا طائل له من ورائها:

(١) الذات الإلهية و ما يتعلق بمقامها. (تفكروا في خلق الله، و لا تفكروا في الله) (صحيح الجامع ٢٩٧٦).

(٢) القدر. (و إذا ذُكر القدر فأمسكوا) (التعليق على الطحاوية للألباني ٣٢).

(٣) التشريع. (و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (المائدة: ٤٤).

- العقل والجسد جزء من نفس علم التحكم الكلي الآلي أو التكوين الإنساني. وهذا العلم طُوِّر للتحكم والإتصال بالناس والحيوان والتقنيات، وأن العقل والجسد والنفس والبيئة والكون وكل ما يُوجد فيه يؤثر بعضهم ببعض. و يُرجع هذه المسلمة إلى باتيسون (Bateson) في كتابه (*A Sacred Unity*).
- الحياة والعقل عمليات متعاقبة شاملة. وهذا يتعلق بتكوين الإنسان ومتعلقاته في الحياة، ويُستخدم كل ما هو موجود في سائر العلوم لتكوين هذا المبدأ.

و أما الافتراضات و المسلّمات التالية فهي تنبثق من الدعائم أو الاعتقادات المذكورة في أعلاه:

- وراء كل سلوك نية إيجابية. و هذه المسلّمة فيها نظر و لا تُقبل شرعاً ولا عقلا، فليس مطلقاً وراء كل سلوك نية إيجابية البتة.
- من يضع الإطار يتحكم بالنتيجة. و هذه المسلّمة تتعارض مع مشيئة الله تعالى و قدره؛ لأن النتائج بيد الله سبحانه.
- الحالة النفسية هي مفتاح التغيير وتحقيق التفوق، والتي تنبع من إدارة فاعلة للعقل. أين البرهان العلمي؟!
- كل المصادر الضرورية تنبع من التمثيل الداخلي و والفسيولوجيا (وظائف الأعضاء)، واللتان تُكوّنان الحالة النفسية ومن ثم السلوك. هذه المسلّمة تحتاج إلى إثبات علمي مبرهن.
- الاتصال الإنساني شامل في طبيعته. أين البرهان العلمي؟!
- معنى الاتصال مع الآخر ينعكس بالاستجابة المختارة في البدء. أين البرهان العلمي؟!

- لا فشل فقط تجارب. هذه المسلّمة ليست دقيقة. فمن يقول أنه لا يُوجد فشل؟! بل يُوجد و على المسلم أن يتعلم منها و يتقدم بالاستفادة من هذه التجارب.
- إذا كانت ممكنة لغيري فهي ممكنة لي (ما يستطيع فعله أي إنسان يستطيع فعله آخر). هذا لا يقره الشرع و لا العقل و الناس متفاوتون في القدرات.
- ليس هناك مقاومة بل عدم مرونة. هذه فلسفة غير دقيقة و مخالفة للواقع.

وكذلك نجد مسلّمات برمجة اللغة العصبية أو فلسفة هذا العصر تزعم كسابقيها أن بمقدور العقل واللغة عمل العجائب والمعجزات في حياة الإنسان، وقسّمت العقل إلى: عقل واعي و عقل باطن أو لاواعي. وتزعم أن العقل الباطن هو مصدر قوة الإنسان. فقد ذكر ميرفي في كتابه "قوة عقلك الباطن" توضيحاً لمفهوم العقل الظاهر والعقل الباطن، حيث أشار أن الأول هو الواعي الذي هو يكمن فيه القرار، ويتعامل مع الأمور الظاهرية والخارجية؛ فيكتسب منها الإدراك والمعرفة من خلال حواسه الخمس ووظيفة التفكير. أما الثاني العقل اللاواعي الذي هو مصدر الذكاء، يكتسب علمه ومعرفته من البيئة المحيطة به بواسطة الحدس والبديهة، وهو مركز العواطف والانفعالات، ومخزن للذاكرة. ومن تقرير ميرفي بأن العقل الباطن يؤدي أعظم وظائفه في حال غياب الحواس الخمس، وذلك في حالة النعاس أو النوم أو الهدوء، يتبين سبب استخدامهم للتنويم المغناطيسي؛ وذلك لتعطيل العقل الواعي. ويزعم ميرفي أن هذا العقل الباطن بإمكانه أن يرى كل ما هو واقع خارج نطاق البصر، وبإمكانه مغادرة الجسد ويرحل إلى أماكن بعيدة لجلب معلومات مهمة عن الشخصية أو النمط المُراد. ويزعم أن العقل الباطن بإمكانه قراءة أفكار الآخرين، وتقدير محتويات الخطابات والخزائن المغلقة. ويؤكدون أهل هذه المهنة أن العقل الباطن يتقبل أي افتراضات أو إيحاءات مهما كانت خادعة أو غير صادقة. و لذلك فإن العقل الواعي يستجيب وفقاً لطبيعة الافتراض المُوحى إليه من قِبل العقل الباطن. و هذا من قبيل التأثير الإيحائي و التخييلي و إدخال الشعور في اللاشعور عن طريق

التخاطب مع العقل الباطن بإملاء أو إرسال رسائل متواصلة و همسات متكررة و تخييلات حتى يستوعبها و تستقر فيه. و بذلك يتحكم اللاشعور أو اللاواعي في هذا الإيحاء فيستلم زمام الأمر و يستمر ليوحي و يذكر و يقرر كما يزعم أهل البرمجة. والتأثير الإيحائي و التخييلي في الأصل يرتكز على تأثير و قوة الكلمات و الألفاظ و العبارات و تمويجها و زخرفتها و لحنها و رنين و نبرة الصوت و همسه؛ لتؤثر على العقل الباطن اللاواعي. و كذلك جُعل للعقل الباطن قوانين تخالف النقل الصحيح و العقل الصريح كقوانين الجذب و الحسم و التحكم و التنبؤ و غيرها.

وهذه الفلسفة أو تقنية البرمجة اللغوية العصبية وُلدت من رحم التنويم المغناطيسي، كما أقر بذلك المتخصصون بها، إلا إنها فاقتها في كونها تتعامل مع حواس الإنسان جميعاً عند إدارة عقل الإنسان وذلك من خلال عمل وتجارب علمية منظمة ومقننة: سمع، وبصر، ومذاق، ولمس، وشم. وأما التنويم المغناطيسي الكلاسيكي فهو كان يعتمد فقط على حاسة السمع من خلال الموسيقى الهادئة والاسترخاء، وتسجيل التجربة. ويُستخدم هذا العقل الباطن في طلب الشفاء، والثروة، والسعادة، والزواج، وجذب الأشخاص، وغيرها من الأمور الدنيوية. ويزعمون أن سبب الشفاء هو الحالة الذهنية التي سيرت الإيحاء بالصحة من خلال العقل الباطن، والتي قبِلها العقل الظاهر للمريض! وهذا الأمر أيضاً يتجلى بوضوح في ممارسة التنويم الإيحائي أو الإريكسوني. ولذلك فإن المُنَوم سوف يقوم بما يُملي عليه المعالج بدقة متناهية كما يزعمون، وسوف تتغير شخصيته في خلال هذه العملية.

و يذكر ريتشارد باندلر أحد مطوري البرمجة اللغوية العصبية في برامجه التعليمية والتدريبية لهذه البرمجة: أن برنامجه لتعليم هذا التقنية يخضع لعدة مراحل منها التدريبية و الممارسية وغيرها متقدمة. فمثلاً يقدم برنامج "ممارس" وبرنامج "ممارس متقدم" ضمن دورات البرمجة اللغوية العصبية. فبرنامج "الممارس"

يتم تقديم طرق الاتصال المتعددة المستويات، و الصيغ والتعامل مع الإطارات، ومُشغّلات و تعاقبات النمذجات، والاستدراج والملاحقة المركزية والإستراتيجية عن طريق استخدام تطابق النميطات للوصول لهذه الإستراتيجيات. وعمليات النغمات والترنيمات والنبرات والإرساء وتسلسل الحالة ونظم القوى والدفع تتم عن طريق عمليات وتقنيات متقدمة كالتنويم الإيحائي والاتصال الحالي التداخلي والتخدير والتغييب والاسترخاء بتكاملها مع نموذج ملتون و طرق بدائية من البرمجة اللغوية العصبية؛ لصنع التغيير المطلوب والتأثير وتسلّم وتنبأ الطاقة أو الحالة مع تخدير عميق إستراتيجي. و يقول أما بالنسبة لبرنامج الممارس المتقدم فيتم تقديم أساليب وقواعد التأثير المتطورة، و إستراتيجيات الواقع والمحيط، وكمية مكثفة وكبيرة من مهارات التأثير و السحر المتقدمة. و ماهية كلمة السحر في البرمجة عند ممارسيها وغيرهم قد اضطربت و اختلطت على البعض، فمنهم من أطلقها على ماهية التأثير والسحر بذاته، ومنهم من أطلقها كاستعارة ومجاز للإشادة بإمكانية فعل المعجزات من خلال تقنيات البرمجة. وهذا الإختلاف الواضح في ماهية البرمجة اللغوية العصبية يؤكد على احتياجها للتأصيل العلمي الجليّ المبرهن.

وهناك وسائل عديدة للقيام بتلك الدعائم والافتراضات السابقة عند أصحاب هذه التقنية، والتي لا يسع المجال لتغطيتها بالتفصيل في هذا الورقة الموجزة؛ لكون الهدف هنا ينصب في بيان حقيقة هذه التقنية وعلاقتها بالسحر التأثيري والفلسفات والعلوم الأخرى. وهكذا فقد ذكرنا المسائل المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية من حيث المفهوم ومتعلقاته؛ ليتيسر لنا مناقشة أبعادها بأمانة وموضوعية.

****

مفهوم ديانة العصر الجديد (New Age)

إن ما يُسمى بديانة أو حركة "العصر الجديد" (New Age) التي أخذت بالانتشار في الغرب في بدايات السبعينات الميلادية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالمفاهيم المطروحة سابقا. فستيفن هول من أقطاب الحركة الدينية ينقل في تعريف ديانة العصر الجديد، وما يندرج تحته من اعتقادات وعناصر يقوم عليها؛ لتمرير أفكار و تنفيذ مخططات مُتبنيها في العالم وفق علم و نهج جديد و طرق مقننة، فيقول عن ديانة العصر الجديد أنها: "نظام اعتقادي حديث ومتطور في أمريكا الشّماليّة يشمل آلاف من المعتقدات والمنظّمات والأحداث المستقلة (وأحياناً المتناقضة). والعصر الجديد بوجهٍ عامّ يستعير لاهوته من الدّيانات الشّرقيّة المتعلّقة بنظريّة وحدة الوجود و ممارساتها من الخوارق الغربيّة للقرن التّاسع عشر، واستخدام الأعداد لاكتشاف المعرفة الخفيّة". و مصطلح العصر الجديد يُسْتَخْدَم هنا كمصطلح جامع لوصف المنظّمات التي تتبنى بعض أو كل المعتقدات التّالية:

(١) الكلّ واحد، كلّ الواقع هو جزء من الكلّ.

(٢) كل شيء هو اللّه، و اللّه كل شيء.

(٣) الرّجل هو اللّه أو جزء من اللّه.

(٤) لا يموت الرّجل أبدًا، لكنّ يستمرّ ليعيش من خلال البعث.

(٥) يمكن أن يخلق الرّجل واقعه الخاصّ و/أو قيمه من خلال الوعي المُحوّل أو الحالات الشّعوريّة المغيّرة.

وغالباً لمفهوم أو مصطلح العصر الجديد علاقة بحكم القّبالة، والفيزياء، والطبيعيات، والوسطاء والقوى والأرواح الخفية، و السّحر، والشعوذة، والبرمجة اللغوية العصبية والطاقة؛ وذلك لترسيخ وتمرير أفكاره ومخططاته. و هذا تعريف بسيط كما أورده ستيفن حول أهم هذه العناصر أو الاعتقادات أو الممارسات التي يقوم عليها فكر العصر الجديد:

–القبّالة: "خليط من التعاليم اليهوديّة الصّوفيّة والتعاليم الغنوسية والأفلاطونيّة المحدثة والسّحر و الشّعوذة. فكلمة القبّالة تعني التّقليد الشّفويّ السّرّيّ و سُكَّ من قبل الفيلسوف الأسبانيّ للقرن الحادي عشر (إيبن جابيرول)".

–الشّعوذة: "كلمة مأخوذة من الكلمة اللّاتينيّة "اختبأ". والكلمة بوجهٍ عامّ تُسْتَخْدَم للقدرات الخارقة للطّبيعة الغامضة أو السّرّيّة أو طقوس دينيّة سحريّة. وكلمة "الشعوذة" أُعْتِيِدَتْ لوصف أيّ محاولة لكسب السّلطة الخارقة للطّبيعة أو المعرفة بالإضافة إلى إله التّوراة. وهي بوجهٍ عامّ ترجع إلى السّحر، أو عبادة الشّيطان أو الوثنية، أو الأشكال المتنوّعة للبصيرة الغيبيّة (التّنجيم، الجلسات، قراءة الكفّ، الخ)".

– الوثنيّة العصرية: "الوثنيّة تاريخيًّا قد أُسْتُخْدِمَتْ كمصطلح عامّ لوصف بدائيّ لديانات و خرافات غير مسيحيّة. وأكثر حداثة تُسْتَخْدَم الوثنيّة كمصطلح جامع يشير إلى السحر والألعاب السّحريّة الاحتفاليّة وعبادة الطّبيعة والشّرك والأساطير القديمة".

–السّحر: "الاستخدام الاحتفاليّ السّرّيّ للتّمائم و الطلاسم و الأحجبة. وقد يدخل فيه التّنبّؤ أو الابتهالات الدينية أو استخدام العناصر الطّبيعيّة لكسب السّلطة الخارقة للطّبيعة أو المعرفة".

–علاج اللّمس (اللمسة العلاجيّة): "إحدى ممارسات العصر الجديد المطوّرة من قبل دولوريز كريجر و دورا كنز لاستخدام طاقة الجسم المزعومة لالتئام المريض. وعادة يحرّك المعالجون فيه أيديهم فقط فوق سطح المريض من غير لمس جسمه. و هذه العمليّة يُقَال أنها تُحرّر طاقة الجسم الخارقة الطّبيعيّة و بذلك جسديًّا تلتئم الجسم".

–التّنويم المغناطيسي: "يستلزم التنويم المغناطيسي حالة شعوريّة مغيّرة أو غيبوبة مولّدة بمؤثرات شّفهيّة أو غير شفهيّة. ومن خلال التنويم المغناطيسي تكون قدرة المُؤثّر عليه مخفّضة للتّفكير الانتقاديّ و يكون بوجهٍ عامّ مفتوحاً ومتقبلاً لا إرادياً للاقتراح والتحكم الخارجيّ من قبل المُنوّم".

– البرمجة اللغوية العصبية (NLP): "هي من أدوات العصر الجديد وهي التقنية المطوّرة من قبل ريتشارد باندلر و جون جرندر. وهي ظاهريًّا تُمكّن الممارسين من قراءة حركات العين العشوائيّة و الأدلّة المرئيّة الأخرى أثناء المحادثة أو النّصح لبرمجة سلوك العميل و إعادة تشكيل معتقداته الأساسيّة. ويُطلق على البرمجة لفظ "برامج العقل الحاسوبية". وهذه البرمجة من المُفترض أن تكون أسرع و أكثر قوّة من العلاج الإكلينيكيّ التّقليديّ و يمكن أن تعمل بدون معرفة و وعي العميل. والمؤسّسان لهذه البرمجة باندلر و جرندر لهما ارتباط بممارسات ومعتقدات العصر الجديد. وقد فشل "NLP" في الاختبارات العلميّة التي أُجريت من قبل الجيش الأمريكيّ".

فمفهوم حركة أو ديانة العصر الجديد الخطيرة التي انتشرت بأدواتها وأساليبها في العالم لتمرير معتقداتها يخفى أمرها على الكثير في بلاد الغرب و في بلاد المسلمين أيضا. و ينبغي كشفها و تعريتها للناس ليحذروا من الداعين لها و متبنيها من مدربي البرمجة اللغوية العصبية و الطاقة و اليوجا و الرايكي وغيرها. و في محاورة شخصية عبر البريد الإلكتروني مع أحد كبار منظّري فلسفة البرمجة اللغوية العصبية يُدعى الدكتور مايكل هال، و الذي يُعتبر من القلائل الذين تحدّثوا عن علاقة البرمجة اللغوية العصبية بديانة العصر الجديد، طرحت عليه الاستفسارات الآتية:

س١: كيف يستطيع المتدرب التمييز بين مدربي العصر الجديد من غيرهم؟

س٢: هل الاتحاد العالمي للبرمجة اللغوية العصبية (INLPTA) يُعتبر في صفوف و جمعيات حركة و ديانة العصر الجديد أم لا؟

س٣: من هم أشهر مدربي العصر الجديد و الداعين له في الغرب؟

فكانت أجوبة الدكتور مايكل هال عليها كالآتي:

(ج١: عليك بالسؤال والتحري هل هم ممن يتعاملون مع البرمجة اللغوية العصبية من منطلق علم النفس الإدراكي السلوكي فقط أو يضيفون عليه معتقدات و أساليب العصر الجديد كتوجيه الطاقة الكونية والإلهية و المكاشفة و الإلهامات و غيرها؟

ج٢: لا، هي أساساً مركز و منظمة تدريبية للبرمجة اللغوية العصبية. "وايت وود سمول" رئيسها يفضّل كثيراً من معتقدات الديانات الشرقية و بعض أفكار العصر الجديد وكذلك كثير من مدربي هذه المنظمة يفعلون ذلك. و لكن هذا شأن المدربين أنفسهم ولا شأن له بالاتحاد.

ج٣: "تاد جيمس" بشكل رئيس ثم "وايت وود سمول". و من الآخرين الذين يفضّلون معتقدات العصر الجديد: "جون أوفيردورف" و "جولي سيلفيرثورن"). ا.هـ.

و هذه بعض طرق و أدوات العصر الجديد التأثيرية: التّحلق والضم والتصاق الرأس بالرأس واليد باليد مع الآخرين، و الميتافيزيقية وعلم الغيب، والكهانة، و توجيه الطاقة الإلهية، والإلهامات، و الوخز بالإبر، و البوذية، و اليوجا، والروحية، والبلّورات، والأهرام، و قراءة البخت والكف، و تغذية الإرجاع الحيوية، و علاج التناسخ، و ورق تارو، والتنجيم، و التخاطر، والتنويم المغناطيسي، و التأثير والسيطرة العقلية، والقراءة السريعة والتصويرية، و الإيحاءات والعبارات المكررة، و التخييلات، و علاج التقاطب، و علاج اللمس العلاجي، و الرياضات والرقصات الجنسية.

****

الوقفات المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية

لقد تم التطرق في هذه الورقة إلى مفاهيم العقل، والعلم، والسحر، والبرمجة اللغوية العصبية، والعصر الجديد. و فصّلنا سابقاً في سحر التخييل وسحر اللغة و الكلام، وبيّنا خطورتهما وما يترتب عليهما، والله عز وجل

يقول: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(69)) (طه). و تم التعرض لما ينبغي أن يُسّخر له العقل، وذلك بما هو صواب، و ما وافق الفطرة السليمة على ما يرضاه الله تعالى. وبعد هذا العرض الموجز سنتطرق إلى بعض الوقفات المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية، وعلاقتها بأهل المنطق والكلام والفلاسفة. وأيضاً علاقتها بالعصر الجديد وكونها سحراً، وشبهة اختلاطها ببعض الفنون و العلوم، و الأخذ بالظنيات الذهنية غير اليقينية في هذه التقنية. وأخيراً سوف نتطرق إلى مُلخص لبعض محاذير البرمجة الشرعية و العلمية. وللإشارة فإن المنهج المتبع في التوصل لحقيقة البرمجة اعتمد على طريقة معرفة تفاصيلها و دقائقها وفلسفاتها وتاريخها كما تُقدّم في الغرب و الشرق ثم النظر في أمرها بالمقارنة مع أحكام الشرع وعقائده. فلم يُعتمد على طريقة إثبات فرضية أو وضع حكماً مسبقاً على البرمجة. فقد تم تتبع وفهم ماهية البرمجة من أصحابها وكتبهم وأبحاثهم ودراساتهم وآثارهم ودوراتهم وممارساتهم لها، فقاد ذلك إلى قرينة تلو قرينة حتى فُهمت البرمجة بنظرة متكاملة. وهذه الطريقة في تتبع المسائل أو الظواهر أو الاكتشاف مفيدة جداً إذا كان الأمر الذي هو تحت الدراسة جديداً أو غامضاً.

الوقفة الأولى: البرمجة وأهل المنطق والكلام والفلاسفة

في هذه الوقفة الأولى سوف نتطرق إلى وجه الشبه بين أهل البرمجة اللغوية وأهل المنطق والكلام والفلاسفة. فمما سبق مناقشته و من المراجع المذكورة في كتابي "بنية السحر" و منهجيهما و أفكارهما يتضح تأثر جون جرندر و ريتشارد باندلر بمنهج "البنيوية" الفلسفي التحليلي المادي الإلحادي الذي يزعم أن لكل ظاهرة كانت إنسانية أو اجتماعية أو نفسية أو لغوية أو أدبية بُنية سطحية و عميقة ينبغي دراستها و تفكيكها لفهمها و إدراكها. و هذا يعني أن أي ظاهرة تحت الدراسة ينبغي عزلها عن أي مؤثرات أو عوامل خارجية

و البُنية تكفي بذاتها لمعرفة أسرارها. و لذلك لم تهتم البنيوية بجانب العقيدة و الأخلاق، فغفلت عن قدرة الله و قدره و قضائه و وحيه و علمه و حكمته في هذا الكون.

و كذلك فقد أخذت البرمجة اللغوية العصبية منهج "الرمزية" في فلسفتها الملحدة التي تدعو إلى التحلل من الدين و القيم و الأخلاق المنبثقة عن نظرية المثل الإفلاطونية، و تتضمن الهروب من الواقع والجنوح إلى عالم الخيال الرموز والرمزيات والإيحاءات والمجازيات و التلميحات؛ للتعبير عن المعاني و التجارب الاجتماعية و النفسية و العقلية والعاطفية. و نظرية المثل الإفلاطونية تزعم أن للإنسان عقل ظاهر واع محدود و عقل غير واع أقوى و أرحب من العقل الظاهر غير المحدود.

و كذلك "السريالية" المتأثرة بالمدرسة الفرويدية لها نصيب في فلسفة البرمجة اللغوية العصبية باعتمادها على قوى الواقع اللاواعي الكامنة في النفس البشرية، و التي يتطلب إطلاقها و تحريرها. و يذكر الشيخ محمد قطب في كتابه مذاهب فكرية معاصرة موضحاً و معلقاً على تخبط السريالية و التحليل النفسي بتعلقها بالعقل الباطن: {أما السريالية فقد تتبعت التحليل النفسي الذي أنشأه فرويد و قال فيه إن حقيقة النفس الإنسانية ليست في النفس الواعية التي تتعامل مع الواقع الخارجي، إنما هي في العقل الباطن الذي لا ترتيب فيه و لا منطق!: فحاولت في نماذج أقرب إلى الخبل منها إلى العقل أن تبرز "حقيقة النفس الإنسانية"! فلم تصنع شيئاً في الحقيقة إلا بعثرة هذه النفس إلى قطع متناثرة لا دلالة لها ولا معنى ولا طعم}.

و فكرة هذا العقل الباطن الذي ترتكز عليه البرمجة اللغوية العصبية أوجدها العالم اليهودي النمساوي سيغموند فرويد الذي كان يقول: "ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية". و فرويد هو مؤسس مدرسة التحليل النفسي والذي توغل فيه التنويم المغناطيسي بشكل كبير، و أدخل فيه الأفكار و العقائد الصهيونية اليهودية الخاصة بطريقة التداعي الحر. و كما هو مُوثّق في كتب البرمجة اللغوية العصبية أن العقل الباطن يتحكم بجميع العمليات الحيوية في الجسد، ويعرف حلول كل المشاكل. وهذا العقل هو الذي يجعلك سليماً أو

مريضاً، سعيداً أو تعيساً، أو غنياً أو فقيراً. و تمثل ذلك جلياً في مُسلّمات و فلسفة البرمجة اللغوية العصبية حيث زعمت، كسابقيها من الفلاسفة القدماء بالتعلق بالأسباب المادية البحتة تعلقاً صرفاً كلياً و حتمياً، أن بمقدور العقل واللغة عمل العجائب والمعجزات في حياة الإنسان، وتزعم أن العقل الباطن هو مصدر قوته. و يزعم "ميرفي" أن العقل الباطن بإمكانه قراءة أفكار الآخرين، وتقدير محتويات الخطابات والخزائن المغلقة. ويؤكد أن العقل الباطن يتقبل أي افتراضات أو إيحاءات مهما كانت خادعة أو غير صادقة. ولذلك فإن العقل الظاهر يستجيب وفقاً لطبيعة الافتراض المُوحى إليه من قِبل العقل الباطن. فمن أراد أن يُصبح غنياً، فما عليه إلا أن يردد التعويذات أو الإيحاءات التي توحي له بالغنى على عقله الباطن. و من أراد الشهرة، فما عليه إلا أن يردد على نفسه في كل وقت و في وقت نومه التعويذات والإيحاءات الخاصة على عقله الباطن، وبذلك يتحقق له الشهرة. و من أراد أن يمشي على الجمر الملتهب، فما عليه إلا أن يردد التعويذات على عقله الباطن بأنه قوي وأن الجمر بارد..بارد..بارد حتى يُصدّقه عقله الباطن ذلك العملاق الذي عليه أن يستيقظ، فينعكس على عقله الواعي، و يستطيع أن يمشي على الجمر دون أن يشعر به، وكأن ذلك الجمر جليد. و هذا الأسلوب من عرض هذه العبارات على أنها مُسلّمات و إيحاءات من شأنه إحداث تنويم خطابي و كتابي من خلال الهمس بها على شكل إيحاءات متكررة. فهذه الافتراضات هي السلاح الأسهل للخطاب التنويمي الإيحائي. و هذا الأسلوب الخطابي المُنوّم يتطلّب استعمال بعض الكلمات الخاصّة التي من شأنها تخدير قوى الإنسان الداخلية، و تشكيل قناعات مختلفة في النفس والعقل. و للتدليل على ذلك فهناك فرق في القبول و التأثير على الذات الإنسانية من خلال استعمال هذه الفرضيات وبين عدم استعمالها. فاستعمال هذه الفرضيات أو المُسلّمات و أمثالها بتكرار هذا النداء الإيحائي التنويمي بحيث تروق للسامع، و تذهب عقله، و تستميل و تخلب قلبه، و تغلب على نفسه من شأنها قيادة الإنسان آلياً وبشكل منطقي.

و يُعلّق الشيخ محمد قطب على العقلانية التي برزت في الفلسفة الإغريقية، و سيطرت على الفكر الغربي: (كانت العقلانية الإغريقية لوناً من عبادة العقل و تأليهه، و إعطائه حجماً مزيفاً أكبر بكثير من حقيقته، كما كانت في الوقت نفسه لوناً من تحويل الوجود إلى "قضايا" تجريدية مهما يكن من صفائها و تبلورها فهي بلا شك شيء مختلف عن الوجود ذاته...قضايا تعالج معالجة كاملة في الذهن بصرف النظر عن وجودها الواقعي...). و أيضاً ينقل الشيخ عن أحد علماء الغرب في تخبط الفكر الغربي حتى وصل إلى ما يُسمى بالآلتية و التي اعتبرت الإنسان كآلة كمبيوتر أو حاسوب في عصر الآلة. و تناسى أصحاب هذا الفكر أن الإنسان هو إنسان قائم بذاته و بقلبه و بعقله و بأحاسيسه و عواطفه و ليس جهازاً جامداً. و شَبّه الشيخ محمد قطب الذي يُصرّ على إعمال العقل في غير محله الذي شرعه الله تعالى بالقفل و المفتاح الذي يدور فيه لفتحه من غير جدوى. فالعيب ليس بالقفل و لا بالمفتاح و لكنه في الإصرار على فتحه بغير مفتاحه!

و هذا التعلق بالعقل الباطن الصرف المستقل عن الواحد الأحد يتنافي مع كمال التوكل عليه العزيز الجبار مصرف الأمور و موزع الأرزاق. فالتعلق بالعقل الباطن المطلق و اعتقاد تأثيره فيه ضرر و خطر عقدي يدخل في باب التوجه إلى غير الله عز وجل، والوجهة إلى غير الله تعالى كفر. و لهذا الفعل ضرر كبير في إفساد العقيدة الإيمانية من خلال إرجاع الأمور و النتائج إلى غير الله عز وجل و مشيئته. و في المقابل ينبغي بذل الأسباب، وعدم التواكل في طلبها، فيما لا يتنافي مع حقيقة التوكل على الله. و هذا يتطلب اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد و دفع ما يضره في دينه و دنياه بمباشرة الأسباب وفق شرع الله عز وجل. و قد أشار الإمام ابن القيم في ذلك إشارة لطيفة حيث أبان أنه: (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة).

و من جهة أخرى، يحرص مدربو البرمجة اللغوية العصبية في الغرب تكاملياً على إدخال بعض الأساليب الرمزية و المجازية و الرياضات الروحية؛ لإضفاء نوعاً من القوة و الإثارة و الصفاء الذهني والتخلص من أوهام العالم الحسي، و ذلك لسد الجانب الروحي المفقود في البرمجة. فأشركت بعض الطقوس و المعتقدات البوذية و الطاوية و اليوجا و الرايكي والطب البديل و الهونا و الشامانية و المشي على الجمر و أساليب الطاقة الفاسدة من الصين واليابان و غيرها. و هذه المعتقدات تحتوي على أمور مشابهة لممارسات الصوفية و الهندوكية والقبلانية. فمنظمة اليوجا مثلاً كما يشير الشيخ الدكتور أحمد شلبي تستخدمها الماسونية في الدعوة إلى معتقداتهم الفاسدة، وهي تزعم أنها مجرد ممارسات رياضية و تدريبات جسدية، وتبدأ باسم اليوجا ثم تنشر سمومها و معتقداتها بالرباط الإنساني و غيره. و تلقف بعض المسلمين هذه التقنية فأضفوا عليها شيئاً من الآيات و الأحاديث؛ لتقويتها و إقناع الناس بها. و كل هذه العلوم و الأفكار و الاعتقادات و الممارسات عبارة عن بعض ثمرات الفراغ الروحي، و البعد عن الله عز وجل، و الهروب من مواجهة المشاكل والواقع.

و أغلب ما ذُكر يشبه ما جابهه شيخ الإسلام ابن تيمية في زمنه، و الذي يسّر الله تعالى له من العلم والحكمة ما مكنه من التصدي للمنكرات وإبطال المعتقدات الفاسدة، والرد على أهل المنطق والكلام والفلاسفة أتباع اليونانيين. وفي ذلك يقول في إحدى ردوده عليهم، والذي يصبُّ في صُلب موضوعنا هذا في بعض معتقدات و مسلمات وتطبيقات تقنية البرمجة اللغوية العصبية المخالفة للعقيدة الإسلامية، والتي لا تحتاج إلى مزيد تعليق لفهم المقصود: (لو علم الرجل من الطبيعيات والرياضيات ما عسى أن يعلم، وخرج عن دين الرسل كان شقياً، وأن من أطاع الله ورسوله بحسب طاقته كان سعيداً في الآخرة وإن لم يعلم شيئاً من ذلك، ولكن سلفهم أكثروا الكلام في ذلك؛ لأنهم لم يكن عندهم من آثار الرسل ما يهتدون به إلى توحيد الله وعبادته وما ينفع في الآخرة، وكان الشرك مستحوذاً عليهم بسبب السحر والأحوال الشيطانية وكانوا يُنفقون أعمارهم

في رصد الكواكب ليستعينوا بذلك على السحر والشرك وكذلك الأمور الطبيعية، وكان منتهى عقلهم أموراً عقلية كلية كالعلم بالوجود المطلق وانقسامه إلى: علة ومعلول وجوهر وعرض، وتقسيم الجواهر، ثم تقسيم الأعراض، وهذا هو عندهم الحكمة العليا والفلسفة الأولى، ومنتهى ذلك العلم بالوجود المطلق الذي لا يوجد إلا في الأذهان دون الأعيان، ومن هنا دخل من سلك مسلكهم من المتصوفة المتفلسفة كابن عربي وابن سبعين والتلمساني وغيرهم، فكان منتهى معرفتهم الوجود المطلق، ثم ظن من ظن منهم أن ذلك هو الوجود الواجب). وقال: (وجعلوا غاية سعادة النفس أن تصير عالماً معقولاً مطابقاً للعالم الموجود، وليس في ذلك إلا مجرد علوم مطلقة، ليس فيها علم بموجود معين، لا بالله ولا بالملائكة ولا بغير ذلك، وليس فيها محبة لله، ولا عبادة لله، فليس فيها علم نافع، ولا عمل صالح، ولا ما ينجى النفوس من عذاب الله فضلاً على أن يوجب لها السعادة).

وما ذُكر سابقاً من أمر العصر الجديد، و وحدة الوجود، و العقل الباطن اللاواعي في البرمجة اللغوية العصبية فهو كلام فاسد في أصله ومقصده، وتعلق بغير الله تعالى، وتصريف الأمور للأسباب المادية الصرفة التي من شأنها صرف العباد عن خالقهم. وأيضاً، لا تكاد تجد في هذه الاعتقادات والافتراضات كما هو متوقع أي ذكر لقدرة الله تعالى وهيمنته وإحكامه على المخلوقات والتي منها الإنسان، وهو القاهر فوق عباده. يقول الله تعالى في ذلك في غير آية منها: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون (١٦٤)) (البقرة). ويقول: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)) (الأنعام). وقوله: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)) (الشعراء). وقوله: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(١٨)) (الأنعام).

وهذا كله ناتج عن الغفلة و من تلاعب الشيطان بالناس. يقول الله تعالى: (لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً (118) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً(120)) (النساء). وأيضاً، فإن الاعتقاد عند البعض بأن القدرة في ذات العقل الباطن بأنه يعي ويفهم أفكار الآخرين بوسائل خفية غير الوسائل الظاهرة العادية، له من الخلل المحض في التفكير و العقيدة. و لُيعلم أن ما يُشار إليه من تفاعل بين العقل الباطن والظاهر في أمور الفكر والعقائد والعبادات وغيرها؛ لأمر مُفسد في طريقته ومقصده، وهذا ما يزعمه الصوفية وغيرهم من لحظات تجلي ومكاشفات، وذلك بانعزالهم عن ما يحدث خارج وسطهم أثناء ممارستهم لطقوسهم البدعية، وما يُلقيه عليهم كبارهم من تمتمات غير مفهومة. وهذا الأمر أيضاً يتجلى بوضوح في طرق البرمجة اللغوية العصبية، ومنها ممارسة التنويم المغناطيسي أو الإريكسوني. ولذلك فإن المُنَوم مغناطيسياً سوف يقوم بما يُملي عليه المعالج بدقة متناهية كما يزعمون، وسوف تتغير شخصيته في خلال هذه العملية. وفعل هذا الأمر خطير حيث أنه ربما أوحى المعالج للمريض بإيحاءات لا يقبلها المريض وهو في وعيه، وهذا من التلاعب بعقول الناس. و قد أشارت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في دار الإفتاء السعودية في فتاواها بخصوص مثل تلك الأمور ما يدل على المنهج السليم الذي يجب أن يُتبع في مثل هذه الحالات، حيث أشارت إلى وجوب تتبع الأسباب العادية الظاهرة المشروعة التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم.

و مع أن أمر العقل والروح والنفس وغيرها من الأمور الغيبية الخفية قد خاض فيها الكثير وكل أتى ببضاعته فيها؛ فينبغي التأكيد على أن العلم فيها هو من أمر الله و من عنده وحده. ويُجيب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ولا مزيد عليه بأن العقل: (في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل، سواءُ سمي عرضاً أو صفة، ليس هو عيناً قائمة

بنفسها، سواء سمي جوهراً أو جسماً أو غير ذلك). وذكر أن لفظ "الجوهر" تعبيراً عن الذات العاقلة هو من كلام طائفة من المتفلسفة، فقال: (وإنما يوجد التعبير باسم "العقل" عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون في العقل والنفس ويدعون ثبوت عقول عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من أتباع أرسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين. ومن تلقى ذلك عنهم من المنتسبين إلى الملل). وذكر أن كثيراً أهل الكلام يدّعون أن: (النفس هي الحياة القائمة بالبدن. ويقول بعضهم: هي جزء من أجزاء البدن كالريح المترددة في البدن أو البخار الخارج من القلب. ففي الجملة النفس المفارقة للبدن بالموت ليست جزءا من أجزاء البدن ولا صفة من صفات البدن عند سلف الأمة وأئمتها. وإنما يقول هذا وهذا من يقوله من أهل الكلام المبتدع المحدث من أتباع الجهمية والمعتزلة ونحوهم). ويقول أن الفلاسفة المشاؤون يُقرّون بأن النفس: (تبقى إذا فارقت البدن؛ لكن يصفون النفس بصفات باطلة فيدعون أنها إذا فارقت البدن كانت عقلاً. والعقل عندهم هو المجرد عن المادة وعلائق المادة والمادة عندهم هي الجسم). وقال أنهم يعتبرون العقل: (جوهر قائم بنفسه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا تتجدد له أحوال البتة. فحقيقة قولهم إن النفس إذا فارقت البدن لا يتجدد لها حال من الأحوال لا علوم ولا تصورات. ولا سمع ولا بصر ولا إرادات. ولا فرح وسرور ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث بل تبقى عندهم على حال واحدة أزلاً وأبداً كما يزعمونه في العقل والنفس). وخلص إلى أن اسم العقل هو: (صفة وهو الذي يُسمى عرضاً قائماً بالعاقل. وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى {لعلكم تعقلون}. وقوله: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها}. وقوله: {قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون}، ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه. ولا العمل بلا علم؛ بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: {لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير} وقال تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها}. والعقل المشروط في

التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره، فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل. أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل). وقال: (إن أصل العقل في القلب، فإذا كمل انتهى إلى الدماغ. والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب. والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المُراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء).

و للتدليل على كلام شيخ الإسلام في صفة العقل الذي أصله في القلب ينبغي تدبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل) (صحيح أبي داود: ٣٧٠٣). و لقد أُجريت و تُجرى بعض التجارب على نقل القلب و مراقبة التغييرات الطارئة جرّاء ذلك في باب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، و أنه تبين أن هناك مؤشرات تدل على أن مركز العقل والتعقل في القلب، و الله اعلم.

و ينبغي الإشارة إلى أنه في ديننا ما يُسمى بالحدس و الغرائز الفطرية و حديث النفس و الشهوة الخفية و الأحاسيس الكامنة و نحوها، ولكنها لا يترتب عليها أحكام ولا يُتعلق بها في المشيئة و لا الإرادة و لا تُغيّب ولا يُسيطر عليها من قِبل آخرين. و أما العقل الباطن في البرمجة فيُتعلق به تعلقاً صرفاً في التطبيق (و إن لم يكن على سبيل الاعتقاد)، و هو ركيزة قائم عليه تقنيات البرمجة اللغوية العصبية، و ضُخّم أمره من غير برهان ولا حجة علمية. و كذلك فإن الناظر إلى أمر الإنسان في ظاهره و باطنه في علانيته و سريرته ليعجب أشد العجب في خلقه و سلوكه و تصرفاته و أحواله، و التي عامة لا تخلو من اتباع للهوى و تصيد للشهوات الظاهرة والخفية و المحفوفة بإغواء و إغراء الشياطين و أمثالهم. و لذلك فنحن مطالبين

بإخلاص العمل و العبادة لله عز وجل و تجنب ضده مما قد يخفى على الإنسان من عبادة نفسه و فساد نيته و اتباع هواها. فالنفس إن لم تنضبط بشرع الله القويم سارت وراء هواها و ما تشتهي و تميل إليه في خفاياها و سريرتها، و انجرفت وراء العاطفة من غير تحكيم للعقل أو انضباط بالشرع، و ربما نتج عن ذلك أمور لا تُحمد عقباها. ففساد النية باتباع الهوى و الشهوات الخفية المحاطة بمداخل و إيحاءات و زخارف شيطانية هي من أشد الأمراض النفسية فتكاً في بني الإنسان و الإنسانية. و لذلك جاء الشرع موجهاً و منبهاً بضلال الهوى و فساده حيث يقول عزّ من قائل: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون) (الجاثية: ٢٣). و قوله: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) (الفرقان: ٤٣). و قوله: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) (النجم: ٢٣). و في الحديث: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش) (الجامع الصحيح ٢٨٨٧).

و الإنسان بطبعه البشري غير معصوم من الأمراض و الأخطاء و العثرات و المعوّقات التي تُخرجه عن سلوكياته العادية. و كذلك، فإن الإنسان يتأثر بمن حوله و بيئته في تفكيره و طباعه و أخلاقياته و سلوكياته و تصرفاته و مكتسباته الذاتية إلى غير ذلك من خصوصياته و عمومياته. و الإنسان بذاته و نفسه عالم عجيب لا يكاد يبين و يُفهم. و لذلك، فإن الإنسان ربما يظهر أموراً يطلع عليها الآخرون، و ربما أخفى غيرها بشعور أو غير شعور. و نحن لا نزال نذكر أنّه أحياناً قد نُنسّى أمراً فنتذكره، ولا نعلم كيف حدث ذلك؟! فذلك النسيان الطارئ الذي يعترينا هو من أحوال النفس الإنسانية الذي جاء تفسيره في الأثر بسبب سحابة و ظلمة القلب كما أورده شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى- المجلد الخامس، و صاحب كنز العمال (٣٦٥١٢)، و نحوه عند الألباني في صحيح الجامع (٥٦٨٢): (لقي عمر بن الخطاب على بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن، ربما شهدت وغبنا، وربما شهدنا وغبت، ثلاثة أشياء أسالك عنهن، فهل عندك منهن

علم؟ فقال على بن أبي طالب: وما هن؟ قال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرًا، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرًا. فقال: نعم، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الأرواح جنود مُجَنَّدَة، تلتقي في الهواء، فَتَشَامُّ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) قال عمر: واحدة. قال عمر: والرجل يحدث الحديث إذ نسيه، فبينما هو قد نسيه إذ ذكره. فقال: نعم، سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من القلوب قلب إلا وله سَحَابة كسحابة القمر، فبينما القمر يضيء إذ تجللته سحابة فاظلم، إذ تجلت عنه فأضاء، وبينما القلب يتحدث إذ تجللته فنسي، إذ تجلت عنه فذكر). قال عمر: اثنتان. قال: والرجل يرى الرؤيا: فمنها ما يصدق، ومنها ما يكذب. فقال: نعم، سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبد ينام فيمتلئ نومًا إلا عُرِج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش / فهي الرؤيا التي تكذب). فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن؛ فالحمد للّه الذي أصبتهن قبل الموت).

و هناك أيضاً أحداث خافية أو شبه خافية تنتابنا، ولا نكاد نشعر بها إلا إذا ظهرت من خارج أنفسنا. فمثلاً عند البعض تكون هناك أفعال و شهوات خفية ربما لم يشعروا بها كالرياء و حب الرئاسة و حب الثناء و المديح و التظاهر و العظمة و غيرها من الأحاسيس و الأعمال التي قد تخفى على أصحابها. و لذلك جاء في الحديث: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) (صحيح الترغيب ٣٠). و لذلك أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من الشرك الخفي: (يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا فعلته ذهب عنك قليلة و كثيرة ؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك و أنا أعلم، و استغفرك لما لا أعلم) (صحيح الأدب ٥٥١).

و قد جاء في الحديث بإسناد حسن عن خطورة الشهوة الخفية: (يا نعايا العرب! يا نعايا العرب! ثلاثاً، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، و الشهوة الخفية) (السلسلة الصحيحة ٥٠٨). و أيضاً جاء في سنن ابن ماجة و نحوه عند الإمام أحمد في مسنده عن الصحابي شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أخوف ما أتخوف على أمتي الإشراك بالله، أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية) (سنن ابن ماجه ٤١٩٥؛ مسند الإمام أحمد ١٦٥١٧، ١٦٤٩٨). و يقول الزمخشري معلقاً على معنى "الشهوة الخفية": (هي كل شيء من المعاصي، يضمره صاحبه ويصر عليه). و يذكر كذلك الغزالي فيها: (يريد أن الإنسان إذا لم تقدر نفسه على ترك بعض الشهوات، ويروم أن يخفي الشهوة، ويأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة). و قيل لأبي داود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال: (حب الرئاسة. فهي خفية تخفي على الناس، وكثيرًا ما تخفي على صاحبها).

و هناك شواهد كثيرة تبيّن أن الإنسان يخفى عليه كثيراً من أمور نفسه من فساد النية و الشهوات و الأهواء المؤثرة عليه، و خاصة إذا كان للشيطان نصيب منها. و ربما ظلت هذه الشهوات غير ظاهرة كالران على قلب الإنسان من كثرة شهواته و ذنوبه. يقول الله تعالى في ذلك: (كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (المطففين: ١٤) و في الحديث: (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (صحيح ابن ماجه ٣٤٢٢).

****

الوقفة الثانية: البرمجة و سحر التأثير

و في هذه الوقفة الثانية سنتطرق إلى العلاقة الحميمة بين البرمجة اللغوية العصبية وبين السحر وفنونه. فقد نقل المتخصّصون في علم وطب النفس الغربيين من أن نوعية التخييل و المجاز من السحر هو إحدى أهم مفاهيم خطاب علم أصول الإنسان المعاصر، ويعتمد عن طريق تقنيات معينة، وعلى مجموعة من الممارسات والتمثلات، والتي أحياناً تكون غير واضحة المعالم. وكان من أهدافهم تقريب المسافة بين السحر والعلم من زاوية، والسحر والدين من زاوية أُخرى. ولتتم هذه المقاربة لا بد من رفع الحاجز الإقصائي المتمثل بالخطاب العلمي المنافي في الأصل للسحر؛ وذلك لكون السحر يتصف بأمرين لا يقبلهما الخطاب العلمي. الأمر الأول يتمثل في كون الخطاب السحري خطاب نحو الشخص، وممارسته تتعلق بقدر فردي. أما الأمر الثاني فيتمثل في كون النفسية الفردية هي مكان الفعالية السحرية المفضل. وبالتالي فإن الكلمة أو اللغة كفاعلية رمزية أُستغلت كأحد الأدوات الإعجازية القادرة على خلق التقارب والتواصل بين الخطابين.

وفي نفس سياق إدراج السحر في ماهية العلم، يؤكد كثير من المحللين النفسانيين في أُطروحاتهم التحليلية أنه لا يمكن اختزال السحر في أمور ساذجة وبسيطة، ولكنه ينبغي أن يكون ذو طابع علمي وتقني ونفسي وتحليلي مُؤثر. ويؤكدون على ضرورة المقاربة بإقامة نظرية جديدة ذات طابع علمي اجتماعي. فباستخدام التحليل البُنيوي أُنتجت ترابطات و رموز متعاقبة؛ لتحقيق الربط بين مستويات الكل الاجتماعي. ويُقرّرون أن الفعالية الرمزية بالنسبة للنفسانيين (وهي استخدام اللغة أو الكلمة) تُولّد تأثيرات مشوشة وشفائية في الواقع من خلال تسخيره التحويل للتأثير في الزمن و الزمنية (الماضي و الحاضر و المستقبل). وهذه بالضبط هي ماهية البرمجة اللغوية العصبية. ويُشير كولومب في هذا الصدد على أن هذه النوعية من السحر تفترس رمزياً أو خيالياً الفريسة، والنتيجة ربما تكون ضارة. وفي هذا المضمار؛ فإن محددات نظام

السحر تكمن في جعل الضحية أو المريض ضمن متخيل أو إيحاء أو إطار اجتماعي متسمة بعلاقات غامضة؛ لتحقيق التأثير المطلوب. ويقولون أن الممارسات العقلية لا يمكن عزلها عن العالم الرمزي. و يذكر كارل ويلز في (سحر المستقبل): "السحر وجد قبل فترة طويلة من اختراع شجرة الحياة. و الخريطة لا تمثّل الأرض أو الواقع، و الكون ليس شجرة الحياة. و عندما يعرف طالب السحر المبادئ العلمية للسحر فسيكون قادراً على تشغيلها في أي إطار. وفي الوقت الحالي قد توسّعت الطرق السحرية وكثير منها ربما لم يُسمع بها حتى الآن. و في نفس الوقت فطلاب السحر يمكنهم من الحصول على نحو متزايد من تشكيلة واسعة من الأنظمة والتقاليد السحرية المختلفة لممارستها سواء ارتبطت بشجرة الحياة التقليدية أو الأنظمة المسيحية–اليهودية أم لا. فالسحر في الألفية الثالثة أصبح يُمارس على قاعدة علمية. فعلم السحر في شكله الصحيح علم، و ليس بفعل ديني كفكر حتى الآن. و في الماضي السحر قد حُرّم، و لزم الدين أن يستعمله في غطاء يخفي الشكل السحري الصحيح، و الذي مؤخراً خرج اليوم إلى العالم بشكل مكشوف غير خفي".

و كما أشرنا سابقاً أن البرمجة اللغوية العصبية وُلدت من رحم التنويم المغناطيسي التأثيري. و يرجع تاريخ هذا التنويم المغناطيسي إلى الحضارات القديمة، والتي ينتشر فيها السحر والشعوذة و معابد للنوم الشفائي، و ذلك من خلال ممارسة طقوس خفية و هتافات وتأملات و إيحاءات متكررة و قرع للطبول. والتعبير بكلمة (hypnosis) ترجع إلى أصل يوناني، و تعني النوم بسبب حالة الغيبوبة (ypnos). فالتنويم المغناطيسي هو عبارة عن إحداث و إدخال الشخص المسترخي في حالة شبيهة بالنوم عن طريق تكرار بعض الكلمات أو الحركات الإيحائية، أو بالتحديق الشديد الذي يؤدي إلى إجهاد عضلات العين. و يُستخدم التنويم المغناطيسي في العيادات الطبية النفسية، أو في بعض مسارح السحر والألعاب الاستعراضية كعامل لجذب الجماهير. و الطبيب النمساوي فرانز أنتون ميسمير هو أول هو من اكتشف و استخدم

أكاديمياً تقنية التنويم المغناطيسي عن طريق الاتصال بالعقل الباطن، و مفهوم المغناطيسية و الاهتزازات المغناطيسية في الشفاء بوضعها على جسم المريض في أواخر القرن الثامن عشر، ومن هنا التصق بها مُسمّى التنويم المغناطيسي.

و في هذا العصر، أضاف باندلر و جرندر إعادة لصياغة طرق ملتون إريكسون في التنويم المغناطيسي، والتي من خلالها يُمكن أن تستعمل الكلمات لأداء أو حدوث حال نشوة أو غيبوبة منوّمة، فتُنتج التأثير المطلوب. و التنويم المغناطيسي يُستخدم لأغراض محددة خاصة في العلاجات النفسية و الكشف عن المجرمين وغسل الأدمغة من قبل رجال الاستخبارات. و هذا التنويم المغناطيسي هو تنويم صناعي يحدثه المتخصّصون بهذه التقنية و عادة يكون مصحوباً بموسيقى ذات ذبذبات و موجات منخفضة للتأثير على الدماغ و فصل الوعي. فيغطّ المُنوَّم في آخر و أشد مراحل التنويم أو التأثير المغناطيسي بنوم عميق تتوقّف فيه أعضاؤه عن الحركة و الإحساس، ولا يسمع إلاّ صوت مُنوّمه، و يستسلم لإرادته متأثّراً بأفكاره، مطيعاً لأوامره دون تردّد، وتظهر منه نتيجة ذلك خوارق تُثبت أن له روحاً متميزة عن البدن، فقد تنتقل روحه إلى مناطق بعيدة عن موضع النائم، وتكشف أسراراً لا يعرفها و هو في حال اليقظة، وقد يتكلم بلغات لا يتقنها، ويخبر عن أشياء ليس له أدنى إطلاع بها. و هذه القدرات الخارقة كما يُسمونها ليس لها حتى الآن تعريف دقيق. و لكن مثل هذه الظواهر تقوم على نظرية غربية تزعم أنه تُوجد قدرات ذهنية خارقة لدى بعض الناس التي تمكنهم من القيام بأمور من الصعب أن يقوم بها الإنسان العادي. و لذلك أُوجدت مدارس تقنية تهتم بمثل هذه الخوارق والطاقات لاكتشافها وتطويرها مثل القدرة على التنبؤ بالأحداث و الإلهام و الكهانة و العرافة و الفراسة و قراءة الأفكار. و استعانت قوى قطبي العالم خلال الحرب الباردة بمثل هذه الخوارق كما يزعم أصحابها لخدمة أهدافها العسكرية و الإستخباراتية. وفي كُتيب عن التنويم المغناطيسي للدكتور صلاح الراشد ذكر أن التنويم يعتمد على مدى قابلية الفرد في تقبل الإيحاءات الملقاة عليه. و ضرب مثلاً أن الذين

يُمارسون السحر و الشعوذة لا يملكون قوة التأثير على الآخر إلا إذا مكّنه منها و أرادها مقتنعا. فالساحر يُلقي بالإيحاءات فقط و الشخص بإرادته يستجيب له. و هذا التنويم بالإمكان تطبيقه قسراً أو بعد السماح له من قبل المريض أو من خلال التعاون معه. و طرق التنويم المغناطيسي متعددة منها على سبيل المثال كما يذكرها الراشد: طريقة الإيحاء المباشر، و الرجوع إلى الماضي، والرجوع إلى الحياة السابقة و قبل الحياة، و الجشتالت الساتيرية، و التحليل التنويمي، و التخييلي، و الإريكسوني، و البرمجة اللغوية العصبية لبرمجة العقل الباطن على الأهداف الإستراتيجية المطلوبة. و في كتاب عجائب التنويم المغناطيسي أعده قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد ببيروت زعم أن المُنوّم يقوم بتحرير طاقة موجودة في الكائنات الحية ذاتها باستعمال زر الزنك مزود بسلك نحاسي في منتصفه أو شمعة مشتعلة مرتفعة أو ضغط الأيدي و التحديق بالعين أو بوضع يد المُنوّم على جبهة الشخص و النظر في عينيه بثبات إلى غير ذلك من طرق عمليات التنويم المغناطيسي. و للتنويم المغناطيسي عامة درجات محددة تبدأ بالنعاس فالنوم الخفيف فالنوم العميق فالنوم العميق جداً ثم الإغماء التخشبي فالسرنمة (أو ما تُسمى مماثلة بدرجات بيتا و ثيتا و ألفا و دلتا). أما التنويم الذاتي فهو عبارة عن نوع من حالة الاسترخاء العادية التي لا تفصل العقل الواعي كما يقول المتخصصون في مجال التنويم المغناطيسي.

و يعلّق الشيخ سيد قطب-رحمه الله- على بعض المشاهدات الغريبة: (لا يزال مشاهداً في كل وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف العلم عن كنهها بعد، لقد سمى بعضها بأسماء ولكنه لم يحدد كنهها ولا طرائقها! هذا (التيليباثي) التخاطر عن بعد . ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن يدعو إنساناً على أبعاد وفواصل لا يصل إليها صوت الإنسان في العادة، ولا بصره، وهذا التنويم المغناطيسي، ما هو وكيف يتم؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة، وأن يتصل فكر بفكر، فإذا أحدهما يوحي إلى الآخر؟!! والسحر من قبيل هذه الأمور، وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور وقد تكون صورة من صور: القدرة

على الإيحاء والتأثير، إما في الحواس والأفكار، وإما في الأشياء والأجسام. وإن كان السحر الذي ذكر في القرآن وقوعه من سحرة فرعون كان مجرد تخييل لا حقيقة له، لا مانع أن يكون مثل هذا التأثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه، وبين الصديق وصديقه، فالانفعالات تنشأ من التأثيرات، وإن كانت الوسائل والآثار، والأسباب والمسببات، لا تقع كلها إلا بإذن الله}. و يقول خوجة كمال الدينحالة في هذا الصدد: {فقد جاء موسى عليه السلام ليحرر بني إسرائيل من رِبقَة فرعون، ويأخذهم إلى أرض الميعاد. وكان المصريون في ذلك العصر أهل ثقافة وحضارة، لهم باع طويل في الفنون والعلوم، ولهم قوانين خُلُقية. وكان عندهم طائفة تسمى السَّحرة، يقرؤون أسرار الكون، ويمارسون التنويم المغناطيسي). و يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: (السحر أن تسيطر على المسحور بحيث أن تجعله يرى ما لم يرى...علماء النفس يضعون بقعة حبر فيراها كل إنسان بشكل، القضيَّة نفسيَّة، يُعبَّر عنه في علم النفس (التنويم المغناطيسي) أي يستطيع المنوِّم أن يُري المنَوَّمين أشياء لا وجود لها إطلاقاً. والآية واضحة: (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) (سورة الأعراف). (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦) (سورة طه). هي لا تسعى، الساحر يستطيع أن يسحر عيون المسحورين ولكن أحداً لا يستطيع أن يسحر عينيه، لذلك سحرة فرعون حينما رأوا العصى أصبحت ثعباناً مبيناً هم سحروا لكنهم لم يُسْحَروا).

و أمر إحداث التنويم ذاته بتعليله عن طريق التأثير على موجات المخ الكهربائية ربما يكون مفهوماً، وقد يحصل للإنسان العاقل و الحيوانات غير العاقلة. و لكن ما ينتج عن هذا التنويم في أقصى حالاته من تأثير و معلومات و تغييرات صادرة أو ما يُسمى بالاستبصار حتى الآن لم يُثبت علمياً، و علماء و أطباء النفس يُعزون ذلك إلى القوة الكامنة في العقل الباطن- الذي لم يُثبت هو حتى الآن علمياً. و في ذلك يُشير الدكتور صلاح الراشد ضمن كلامه عن العقل الباطن و قواه العجيبة أن الدراسات حتى الآن لم تُثبت علمياً ماهية و طبيعة و وجود و سر هذا العقل الباطن حتى بعد تشريح المخ المرئي و تصويره و متابعته.

وبالنظر المتعمق في تعريف السحر من جهة إسلامية أو غربية؛ فسيتبين لكل ذي لب العلاقة بين البرمجة اللغوية العصبية والسحر من ناحية التأثير والغاية. وهذا أيضاً قاموس أكسفورد الغربي يتضمن على تعريفين للسحر. الأول: هو الفن الافتراضي المؤثر على سير الأحداث وإنتاج ظواهر طبيعية خارقة بفعل تحكم الطبيعة أو الأرواح الخفي. والثاني: هو التأثير الخفي والخارق لعمل نتائج مذهلة يصعب تفسيرها. ويقول الدكتور و مدرب البرمجة اللغوية العصبية ريتشارد بولستاد أن التعريف الثاني يأتي في صلب ماهية البرمجة اللغوية العصبية. ويتساءل بولستاد: هل من الملائم إخبار الزبون أو المريض أو المُمَارَس عليه تقنية البرمجة اللغوية العصبية بمحدودية فعاليتها؛ لكونها علم تطبيقي، أو إخباره ببساطة أن هذه التقنية عبارة عن سحر؟ ويخلص في ذلك إلى أن اعتبار هذه التقنية "تفوق التفسير" من شأنها إحداث نتائج إيجابية مؤثرة على المُمَارِس والمُمَارَس عليه! ولذلك فإن المُمَارَس عليه لن يتراجع أو يُعيق عمل هذه التقنية في الجلسات؛ لأنه قد فُهّم مسبقاً أنها غير قابلة للتفسير. ولن يُميّز هل هي سحر أم لا؟ و سواء أتت هذه التقنية بنتائج إيجابية أم سلبية؛ فإن ذلك لن يُؤثّر ذلك على عملية هذه التقنية؛ لأن الشخص قد صدّق بأنها تفوق التفسير، ولن تُفسد عمل الساحر. ويؤكد بولستاد على ضرورة إيمان المُمَارِس بفاعلية أعماله؛ لتحقيق نتائجه المنشودة من دون الالتفات إلى أفعال المُمَارَس عليه، ويعتبرها بولستاد وآخرين إحدى أهم افتراضات هذه التقنية. ولذلك تجده يُشير بأن السحر يكمن في داخل الفرد لما فيه من إمكانات غير مُفسّرة.

ويقول في ذلك كلتون رودز في (ماذا عن "NLP"؟): "NLP، من الناحية الأخرى، حدسي وفلسفي في نظرته. البرمجة تستمد أسسها وتقنياتها بالتأكيد من العلاجات بالتحاليل النفسية، وأصولها ترتبط بدراسة حافز الغيبوبة والسحر". وينقل أيضاً: "NLP نظرية ليست مفصلية بشكل جيد جداً، فمصطلحه وأسسه وفرضياته محدّدة و غامضة أو عليلة". ويقول الدكتور مايكل هال الذي يعتبر ورود إضافة كلمة السحر

للبرمجة هي من باب الاستعمال اللغوي المجازي بحسب رأيه: "NLP" عبارة عن فن التأثير و علاج الناس من الدرجة الأولى". وأيضاً يضيف في (سحر إعادة التشكيل التحادثية): "وجدنا صندوق سحري "يكمن فيه كلّ أنواع الأشياء الرائعة والمُروّعة كالساحر مع صندوقه السحري الذي من خلاله وضع وسحب كل ما هو خارق–الصندوق السحري هنا يُشير إلى الأكاذيب ضمن العقل الإنساني ويتضمّن تركيبة السحر. فدماغ الإنسان يُنتجها، ومع هذا فالصندوق السحري يتجاوز الدماغ. وتعرض خطوط العقل السحر بإعادة التشكيل التحادثية أو الأنمطة أو التأطيرات". وكما يقول أحد مدربي السحر يدعى التريس أن البرمجة اللغوية العصبية هي إعادة لصياغة أسس السحر وقواعده بصورة علمية مقننة، وهي المنطلق لطرق السحر المتقدمة جداً ففيه التأصيل الأساسي والمتقدم للسحرة. وهذا نبذة عن كتاب جديد هو طقوس المستقبل: سحر القرن الحادي والعشرين. ويستعرض فيه كاتبه عن طقوس السحر البدائية وكيفية تطور السحر من قبل خمسة آلاف سنة إلى أن وصل لهذا العصر وشرح صاحب الكتاب فيلب فارير طقوس سحر الماضي والحاضر والمستقبل الذي وصل اليوم السحر في تقدمه إلى تكامله مع تقنيات البرمجة اللغوية العصبية، والذي يُعتبر اكتشاف جديد وتقدم علمي لهيكلة وقواعد السحر، وما يقوم عليه بإعادة صياغته علمياً ومنهجياً. وأُعتبر سحر البرمجة سحر تطبيقي للتأثير على العقول من خلال طرق مطورة تعتمد على الميتافيزيقية وطرق الإرساء للتغيير الذهني والإيحاءات التخييلية وتطابق النميطات والتنويم الإيحائي الإريكسوني وخطوط العقل وغيرها من العمليات الرمزية والترنيمات والخطابات اللغوية السحرية المؤثرة على العقول والأبدان لدافع التأثير عن قرب وعن بعد.

و يذكر مدرب "NLP" فيلب فارير في مقدمة كتابه "الطقوس المستقبلية: سحر القرن الحادي والعشرين": "الابتهال هو العامل الفاعل والمساعد لجلب والحصول على الجودة في السحر. وبتعبير البرمجة

اللغوية العصبية "NLP" فالابتهال هو تغيير الحالة. فتغيير الحالة السحرية و عمليات الإرساء في البرمجة تعمل بنفس المبادئ الجوهريّة كباقي "NLP" بالرّغم من أنّ البعض سيقول أن ابتهال "NLP" و الرّمز يعمل بنفس المبادئ الجوهريّة كباقي السحر. فهنا الطّقوس المستقبليّة تتكلم عن طرق جعل ابتهال قويّ و أكثر قوّة في الصّميم حيث يمكن أن تشعلك كلمة واحدة. وهذا روبرت أنتون ويلسون يُعلّق على هذا الكتاب الجديد فيقول: (وجدت هذا الكتاب فريد تمامًا – فهو يعتبر دليل السحر الأوّل وهو كلّيّة معاصر للعلم الجديد وهو الكتاب الوحيد الحديث الذي فعلاً سيعدّ طّالب السحر مدى الحياة في القرن الـ٢١)". وهذا أندرو أوستن وهو أحد كبار ممارسي ومدربي هذه تقنية "NLP" يقول عنها: "أن ظاهرة السحر فيها تكمن في تعاقب عمليات عقلية عليا سببية تُسمى عمليات الطقوس السحرية وعادة تنشأ عملية التأثير والتخييل والممارسة فيها من خلال:

١. البصر: الدائرة، والمربع، والمثلث، والسفن، والمصابيح، والحبال، والأدوات وغيرها.

٢. الصوت: الدعوات.

٣. الرائحة: العطور.

٤. المذاق: الأسرار والقدسيات والطقوس الدينية.

٥. اللمس: الدائرة، والمربع، والمثلث،والسفن، والمصابيح، والحبال، والأدوات وغيرها.

٦. العقل: مجموع كلّ ما ذُكر أعلاه والانعكاس على أهميتهم.

و يذكر لويس واكر في (التغيير بالرمز الجديد "NLP"): "المعهد الأول البرمجة اللغوية العصبية خُلق بشكل محدّد لكي يسمح لنا بالقيام بالسحر بخلق الطرق الجديدة من فهم في كيفية تأثير الاتصال الشفهي وغير الشفهي على دماغ الإنسان. و في حد ذاته فهو يقدّم لنا كلّ الفرصة ليس فقط كيف تتّصل بشكل أفضل مع الآخرين، بل أيضاً لكيفية كسب السيطرة أكثر على الآخرين، والذي يُعتبر وظائف آلية من

علم الأعصاب. و تذكّر بأنّ السحر هو تلاعب بالطاقة، فكر في شكل الطاقة، و الخيال يُشكّل أقوى مستوى من الطاقة. والخيال يمكن أن يكون طريقة تُستعمل لتشديد رغبتك الآخرة والمباشرة. والخيال يمكن أن يكون الطريقة التي فيها تسيطر على الطاقة السحرية المنتجة. عليك أن تعرف ما تريد. عليك أن تراه. عليك أن تحسّ بتدفّق الطاقة العالية. عليك أن توجّهها. و هي إحدى أهم العناصر في ممارسة أيّ شكل من أشكال السحر القانون العالمي للسبب والتأثير". ويقول براندلي وليامز في ("NLP": السحر التطبيقي): "فوظيفة السحر تكمن في الرّدّ الذي تحصل عليه. تذكّر النّظم التّصويريّة؟ الفكرة أن النّاس يعتقدون في الصّور وفي الأصوات وفي المشاعر؟ بينما نحن نستدعي الصّور (عمليّة تُسمى الوصول)، فنحن غير قادرين أن ننظر إلى ما يحصل أمامنا. وبينما نحن نستمع للموسيقى، فنحن غير قادرين أن نتذكّر أغنيتنا المفضّلة. وبينما نتحسّس أكتافنا للتّوتّر، فنحن غير مدركون للمسة القماش ضدّ جلدنا. الرّؤية الخيالية بالعين العقلية و العين الجسدية هي عمليّات حصريّة بالتّبادل في برامج اللغة العصبية: الوصول---التّفكير يُسَمَّى فترة التّوقّف، و الملاحظة بالرّشد والحواس تُسمى "الزمن الأعلى" وقد أجريت عملية "الزمن الأعلى" كعلاج. حاول هذا: لمدّة ثلاث دقائق، انظر إلى الألوان أمامك، ملمس الأسطح، الأشكال...استمع للصّوت و درجة كلّ الوقع الصوتي في جوارك...اشعر بالسّطح الذي تدلس عليه، فيديك تلمس شيئاً أمام عينيك...في المرّة القادمة تنتج صورةً داخليّةً، تكلّم مع نفسك، اشعر ببطنك الذي يضيق – – لاحظ الفرق . إنّه اختلاف بين الوصول و الملاحظة، فترة التّوقّف و الزمن الأعلى، الواقع الخارجيّ و الدّاخليّ. يوجد شيء واحد الذي ألاحظه في الزمن الأعلى هو أنه يربط إلى المفهوم المقدّس. عندما آخذ مشيًا بالنّهر، أشاهد الماء يدور على الصّخور، أستمع لضوضاء التّيّار، أشعر بالهواء الرّطب الذي يلمس جلدي. أحضر نفسي من ابتكاراتي الدّاخليّة الخاصّة و أسمح لنفسي أن تعيش في العالم. و شيء آخر الذي ألاحظه على فترة العمل هو أنّ بعض النّاس لا يعملونه جيدًّا. معظمنا يُسقط القطرة في الحقيقة الدّاخليّة عندما تكون بيئتنا غير

جيدة ومناسبة، و ذلك شيء مفيد جدًّا ليكون قادر أن يعمل. لكنّ الكثير من النّاس ينسون العودة بالخارج – جاء إلى رشدهم وحواسهم حرفيًّا–و يجرّب العالم ثانيةً. فأحد أسس طرق عمل المجموعة السّحرية هي التّآلف بين المشاركين. حاول هذا: المرّة القادمة لديك محادثة عن السّحر، لاحظ رفيقك. ترقّب: وضع الجسم و إشاراته وحركاته. فالكثير من الناس الذين أتكلّم معهم يُظهرون ما يشعرون به عندما يعملون السّحر. [امرأة تصف طريقة دائرتها، حرّكت يدها من جبينها نحو أقدامها من جنب إلى جنب و من قلبها مستقيماً أمامها–وبجستلة ثلاثة أقطاب الطاقة تخلق الدّائرة]. انتبه للأوصاف الحسّيّة–"رأيت، سمعت، شعرت". تعلّم الدّخول في الزمن الأعلى حسب الرّغبة، وتفريق تصويرنا للواقع من ملاحظاتنا، ربّما هي الأكثر مهارة سحرية مفيدة نستطيع امتلاكها. هي تمدّ الأساس لفحص الواقع، تساعدنا على توصيل تجاربنا بفاعليّة أكثر إلى الآخرين، و لمساعدتهم لعمل ما نعمله، و هذا هو أحد أعمق تغييرات الوعي".

و يكمن التأثير في البرمجة اللغوية العصبية بجعل العميل يؤمن بأن داخله سحر كبير عليه أن يكتشفه. وأشار كل من جرندر وباندلر و بولستاد في كتاباتهم عن التنويم الإيحائي والاسترخاء والإيحاءات واللغة العصبية، بأن الفرق يكمن في طريقة العرض والتقديم. فعند الذهاب للساحر أو المعالج فإن العميل أو المريض قد حُذِّر مسبقاً أنه سيُخدع؛ لأن مُسمى الساحر أو المهنة تدل على ذلك. ولكن عند الذهاب إلى أطباء أو أساتذة أو مدرب أو بدون مُسمى مهني فهنا يكمن الخطر والخداع. ويؤكد أهل هذه التقنية أن ذلك ضروري لتلافي مقاومة العميل أو المريض أثناء ممارسة البرمجة اللغوية العصبية. والعجيب أن إحدى افتراضات هذه التقنية تشير إلى أن الإنسان أو العميل مسؤول عن عقله ونتائجه! وهذا الافتراض يناقض الواقع حيث أن الممارسين لهذه التقنية يعملوا الأفاعيل في الضحية من دون أن يشعر، ولو شعر واكتشف السحر والتأثير الُمستخدم عليه؛ فسوف تتلاشى القوة التي عنده بسبب هذا الشعور من تحكمه بحياته ونتائجها. و هكذا فعندما يذهبون لممارسة حياتهم الطبيعية فكل ما تخيلوه قد ذهب أدراج الرياح، وهنا يبدأ

التصادم. ويؤكد المختصان ستير و ميسن على أن المحاكاة، والقدرة على التمثل والتكرار هما أهم عاملان مساعدان على نجاح هذه التقنية. ومن هذه الاختبارات استطاعا أن يبنوا نموذجهم الرّئيس المُسمى "نموذج ميتا". ويذكر دان سكوربي في طبيعة سحر "NLP": "النتائج من هذا بمعنى عام لتكيّف الوعي تكون كبيرة. فهنا يكمن السحر الحقيقي في طبيعة التّعلّق التّعويد و الإعادة و تعديل الأنماط اللّغويّة التي تربط بشكل وثيق و ضمني الفهم و التّفكير في تكوين الغيبوبة إلى الواقع".

وهذا وصفاً دقيقاً لكيفية عمل سحر الـ"إل.إن.بي" عن طريق المدرّبة جوديث بيرسون في مراجعتها لكتاب أسرار السّحر لمايكل هال: "تبدأ أسرار السّحر بمناقشة كيفية عمل الكلمات كرموز للخبرة. مايكل هال عرض في كتابه مراجعة لأعمال باندلر و جرندر المبكّرة في عرض الأنماط اللّغويّة العلاجيّة لفريتز بيرلز وفيرجينيا ساتير وملتون إريكسون و ظهور "NLP". باندلر و جرندر (استغلّا مبادئ اكتساب اللّغة والتّطوير لاستكشاف كيف يمكن للكلمات و اللّغة أن تشتغل في الطّرق السّاحرة ظاهريًّا في علم الأعصاب البشريّ لتشكيل مهارات الشّخصيّة و تجارب العاطفة–العقلية البشريّة). و الهدف من نموذج "ميتا" (هو أن تحضر عناصر خريطة الواحد في الوعي الواعي لفحص مرافق الخريطة واكتشاف الحدود المعرفيّة. و تظهر المشاكل الإنسانيّة من الخرائط التي تكون بشكل ملحوظ غير دقيقة وغير كافية ومحرّفة وفانية. إذا تواجدت المشاكل البشريّة في هذه الخرائط فإنه الطريق إلى الحلول الإنسانيّة. يأتي الأمل من إعادة تشكيل الفهم في الطّرق التي تعرض الاختيارات الجديدة. ونموذج "ميتا" (العقلية العليا) هو طريقة لتغيير الخرائط الدّاخليّة. وكلما كان الفهم أعمق في كيفية تغييّر و تحديث خرائطنا كلما استطعنا أكثر بتقوية أنفسنا والنهوض بها لنصبح سحرة على الواقع الدلالي العصبي. ونموذج "ميتا" يُعطي طريقة للفهم وإدارة العمليّات المخطّطة البشرية. و طبقًا لمايكل هال: "في ذلك المكان يُوجد السّحر"! مايكل هال شرح امتيازات نموذج "ميتا" المألوفة عند ممارسي "NLP" وقام بتقديم استمارات الحذف والتّحريفات و التّعميمات والافتراضات اللّغويّة.

ومناقشة التخييلات والتصويرات والصّوريات والأفعال والمصدرة والتسميات وتصريفها هي عمل توضيحيّ خصوصًا و مفيد للـ"NLP". ولدى النّاس ميل لتصوير وتخييل وتسمية عمليّات تفاعليّة وبذلك تتم تحوّل مثل هذه العمليّات إلى الأشياء الثّابتة التي يمكن أن تخدع بشكل ما (استرخاء على سبيل المثال يصبح رخاء) بدلاً من سلسلة أفعال وإستراتيجيّات فيها الواحد يمكن أن يُشغل. ومهمّة الممارس هو فك التصوير والتخييل والمصدرة للعمليّات حتّى يمكن للعميل (أو المتدرّب) أن يفهم ماذا يعمل لكي يحقّق نتيجة. وإعادة التخييل والتصوير مرة أخرى على شكل أفعال يستعيد معنى الحركة والاختيار والوضوح . نحن لدينا مدخل لمعرفة تعاويذ النموّ والإمكانيّة والعقل والمهارة. أين يكمن ذلك؟ يكمن ذلك في نفس العمليّات اللغوية التي بها نخلق السّحر الأسود الذي يلعننا ويهزمنا ويُمرّضنا ويكوينا ويدمّرنا. ونفس هذه العمليّات اللغوية أيضًا تعطينا السّلطة لخلق السّحر الأبيض الذي به يمكن أن نبارك ونتقوى ونصنع كل الحياة والصوت. و مايكل هال صرّح لمساعدة الناس نحتاج لتغيير الشّكل والنحو في تركيبة الشّخص الدّاخليّة. نموذج اللغة العصبية لتشغيل الإنسان يعطينا الأسرار للفهم و تركيب هيكل التّجربة الشّخصيّة. وتساعدنا استفسارات نموذج "ميتا" أن نستخرج ليس فقط المعاني بل الإستراتيجيّات أيضًا. مثل هذا الاستفسار هو أساس النمذجة. ويتم تكوين السحر هنا في "NLP" بجلب الإستراتيجيّات غير التكيّفيّة في الوعي الواعي و تغييرها. و سرّ السّحر اللّغويّ هو القدرة في برمجة شخص ما بحيث يُشير إلى جسمه–عقله الخاصّ ليمثّل أشياء في طريقة معيّنة. أطلق هال هذه العملية "التّأثير العصبيّ" والتي فيها اللغة الحسّيّة تعطي العصًا السّحريّة للوضوح بينما تعطي اللّغة التّقييميّة العصًا السّحريّة للمعنى. الكثير من سحر "NLP" يمكن أن يُوجَد في براعة تصميمات الفم وقد كرّس هال فصل لهذا الموضوع. والغرض من حيلة أنماط الفم (أنماط لغويّة لإعادة الصياغة العامّيّة) هو توجيه الوعي ولخلق إطارات المعنى الجديدة والمرجع. وطبقًا لهال أيّ شخص يضع الإطار يحكم الأفكار اللّاحقة والمشاعر والسّلوك والتّجارب للتّفاعل الإنسانيّ. ويُلخّص هال عمله على براعة أنماط الفم

وخطوط الرأي وهي خطوط لتغيير الآراء. من خلال نظمنا التّصويريّة نخلق الخرائط التي تحتوي على النميطات. وفي خلال كلّ نظام تصويريّ هناك حذف وتحريفات وتعميمات بين النميطات. والكلمات هي الوسائل التي بها نترجم الخرائط التي تختلق الهياكل العميقة للتفكير والشعور والإحساس. تتواجد الخرائط التّصويريّة في مستوى فكرة مجرّدة عميقة من تلك اللغة. يحدث التّعلّم من خلال عمليّة تغيير النميطات، أو التّخطيط إلى نظام تصويريّ آخر. والاختلاف ينتج عندما يحاول النّاس العمل من الخرائط المتعدّدة التي تتعارض مع بعضهم البعض. وتحدث عملية التخدير متى تحوّل الخرائط التي من نّظم تصويريّة مختلفة في المحتوًى. وهكذا نستطيع أن ندخل المعلومات في نظام تصويريّ و نعالجه في آخر. و لا نتحرّك خلال الحياة بنموذج واحد فقط للعالم ولكنّ بالنّماذج العديدة التي تشتغل في المستويات المتنوّعة والتي بعض منها جرت بدون وعينا لها. وبالبحث عن النميطات ومن خلال استعمال نموذج "ميتا" تكون لدينا أدوات لوصف الخرائط في كلّ النّظم التّصويريّة. وهيكل السّحر مبني على المبادئ الأساسيّة في كيفية برمجة أنفسنا و الآخرون." و نماذج براعة أو خداع الفم وهي مثيلة لـ"براعة اليد" أو "خفة اليد" المعروفة في السحر والتسمية مشتقة منها كما يُصرّح مطورها روبرت دلتز و ديلوزير في موسوعتهما: وهذه الأنماط أو حركات الفم لها علاقة مباشرة بسحر تأثير الكلمات واللغة. و اللغة هي أحد أركان الأنظمة التمثيلية الأساسية، والتي عن طريقها يكمن بناء نماذج العالم. فاللغة لها تأثير قوي على درجة تصور وتقبل واستجابة الإنسان لما يدور حوله. وقد أوضح فرويد سابقاً: "الكلمات والسحر كانتا في البداية عن شيء واحد و هما نفس الشيء". فالكلمات تكمن سلامتها أو خطرها في طريقة استعمالها وهدفها وصياغتها وطرحها أو عرضها. ومن خلال أنماط الفم الخداعية يُمكن التأثير على الاعتقادات الأساسية، وتُستعمل كوسيلة فعّالة لتغيير آراء ومعتقدات الآخرين أثناء الخطابات. وتُعتبر أنماط الفم الخداعية في البرمجة اللغوية العصبية كعملية إعادة تأطير شفهية والتي من خلالها يمكن التأثير على الاعتقادات وخرائط العقل.

و تقنية أخرى مؤثرة في البرمجة اللغوية العصبية ما يُسمى بـ "الأصابع الخمسة وإستراتيجيات الإقناع". فتقنية الأصابع الخمسة وإستراتيجيات الإقناع هي وسيلة تأثيرية بحتة، وتُقدم في الدورات المتقدمة في البرمجة اللغوية العصبية. وطريقتها هي إذا أراد مُمارسي البرمجة مثلاً من إقناع المُؤثر عليه بتوقيع أي ورقة يريدها هذا المُمارس فما عليه إلا أن يمسك بإبهامه ويقرأ هذه التعويذة بصوت تنويمي إيحائي: (عقلك الباطن يقول لك أنك تستطيع القيام بما تريد بطريقة عشوائية تجعل الآخرين يعتقدون ويؤمنون بالأُسلوب المطروح ولهذا فعقلك الباطن يستطيع التوقيع). وهذه الكلام ليس له معنى وإنما هو تعويذة وخطاب تنويمي إيحائي للتأثير على الجهاز العصبي، و يستخدمونه لجعل المقابل يُوقّع على أي ورقة يريدها الساحر أو المُمارس من دون تفكير أو إرادة. وإذا أراد أيضاً ممارس البرمجة من أي شخص أن يشتري ما يُريد فما عليه إلا أن يمسك بالإصبع "الوسطى" ويقرأ تعويذة أخرى وهكذا. فمثلاُ إذا أرادوا الإغواء الجنسي فيمسكون بالإصبع الصغير، و يرددون تعويذة أخرى، وهكذا فلكل إصبع غاية في التأثير. وهذه الطرق موجودة في موسوعة دلتز وأيضاً عند أنتوني روبنز من كبار المختصين في البرمجة الغوية العصبية.

و يذكر فيلب فاربر في (التنويم المغناطيسي والسحر الطقوسي) لإبراز أداة المرساة في العمل السحري: "NLP و كلّ أساليب التنويم الإريكسوني المغناطيسي مهيأة و متكيّفة للتنويم المغناطيسي الذاتي و متكيّفة للاستعمال في وضع السحر الطقوسي. فالنتائج هائلة تتراوح من القدرة العامّة لتحسين التركيز والذاكرة إلى الطرق المعيّنة جداً لتحسين الفجر الذهبي وأنواع السحر الثلمكية للطقوس. نتعلّم كسحرة بسرعة أن نربط التجارب بكلمات معيّنة ورموز وروائح. فالمرساة هي الاسم "رافائيل" والتجربة هي اللون والصوت والشعور والهواء الذي يكتسح الدائرة وهذا هو جوهر الطقوس السحرية. كلّ شيء في الطقوس أساساً مختار لنقاوته وقدرته كمرساة. فإنتاج حالة الإرخاء العميق هي شيء بسيط لاستعمال أساليب الإرساء المنوّمة لتقوية المراسي التي استعملت في الطقوس. والأنظمة التمثيلية يمكن أن تستكشف باستعمال اللغة المبهمة بشكل

ماكر من أمر العملية (إلى نفسك، في رأسك) لدخول غيبوبة خفيفة (أو حالة الراحة، إرخاء، مهما يعيّنك تفضّل) وبعد ذلك يُستدعى كلّ إحساس تباعاً: والمهم أنه حتّى عندما نحدّد نظاماً تمثيلياً، فنحن نستطيع ترك التفاصيل مبهمة. إنّ الطريقة تكمن في اقتراح الإمكانية وليس الأمر به. فالإرساء يأتي في كلّ نمط حسّي. البخور بالطبع مرساتنا الشمّية. إنّ أشكال الأدوات وأسلحة السحر البصرية والإيقاعية والإحساسية وغيرها ربطت المعلومات بالمراسي ويمكن أن تشتقّ، كالعادة القبلانية بشكل تنجيمي أو جوهري أو بأيّ نظام آخر".

وبذلك يتبين لنا أن بالرغم من إيجابيات تقنية البرمجة اللغوية العصبية المزعومة في تقوية لغة الخطاب والاتصال والعلاج وتهذيب السلوك وتفجير القدرات الكامنة، إلا إنها في أصلها فاسد واحتوت على سلبيات عديدة واستخدمت طرقاً فاسدة ذات تأثير خفي في اللاشعور. و تكمن هذه السلبيات في التخييل والخداع والتلاعب في عقول ونفوس وعقائد وأعراض وأموال الناس. وهذه من أهم الأركان وضروريات الإسلام الخمس التي اعتنى بها وحفظها؛ لقيام مجتمع إسلامي مُحافظ ومُصان لخلافة هذه الأرض وتعميرها، وعبادة الله عز وجل على الوجه الذي ارتضاه. وكما علمنا؛ فلهذه التقنية صبغة سلبية في الغرب، وأن هناك أكثر من منظمة تسعى لصد نشاطاتها ومحاربة وجودها بسبب سوء استخدام هذه التقنية في الإغواء بين الرجل والمرأة، أو الرجل والرجل، أو المرأة والمرأة، والابتزاز، والسيطرة على الآخرين، وتغيير المعتقدات والأفكار، وغير ذلك من التطبيقات الهابطة للتنويم الإيحائي أو المغناطيسي أو التخدير؛ والتي ربما أدت إلى تصرفات غير أخلاقية من خلال التفكير بالسيطرة على الآخرين. إن تقنية البرمجة اللغوية العصبية عبارة عن عمليات تشويق وتسويق و تأثير وتخييل وتصوير وتمثيل وخداع، ولكن بطريقة منظمة و مطقسة بخطوات عملية.

وكما أشرنا آنفاً فإن رُوّاد هذه التقنية يُقرّون بتأثير تقنية البرمجة اللغوية العصبية الشديد على ذات الإنسان! وسواء أطلقوا على هذه التقنية سحراً أم لم يُطلقوا؛ فالحقيقة لن تخفى، وإن غيّروا المُسمّيات. فظاهر هذه التقنية يدل على ذلك السحر المُعَرّف سابقاً. وسحر هذا العصر لم يعد مجرد علم خفي و طلاسم وخزعبلات، بل فناً و علماً تطبيقياً ظاهراً! ذلك؛ لأن هذه التقنية تُعيد تصميم أو صياغة الإنسان الذي خلقه الله عز وجل على صفات معينة تميزه عن غيره، وذلك بإعادة تصميم عقله وعاطفته ووجدانه من خلال آليّات معينة مستخدمة أساليب التخييل والمحاكاة، واللغة، والحواس، والإيحاءات والتصورات، وتنزيلها إلى حس المُؤثَر عليه، فيراها و كأنها أمامه من شدة التأثير عليه. وأيضاً، فالبرمجة تلاعب واستمالة وتقسيم العقل إلى ظاهر–واعي، وباطن–لاواعي، والتعامل والتركيز على العقل الباطن، كل ذلك أمور فيها نظر؟! و هم ربما غالباً لا يستخدمون الجن، ولكنهم يتلاعبون بالعقول بفنون سحر التخييل واللغة التي صمّموها وطوّروها، وهذا أخطر؛ لأنه سريع التصديق والفعل لدى الناس. ويكفي أن يُعلم أن البرامج المجازية و الرمزية و فوق العقلية، وخط الزمن والتنبؤ، والتخدير، والإرساء، والترسيخ الذهني، والعلاج بالرسالة المتكاملة، و التأثير الإيحائي، والتنويم المغناطيسي، ومطابقة النميطات، من أهم وسائل وطرق جمع المعلومات في البرمجة اللغوية العصبية للتأثير على عقول الناس والوصول إليها، والتي منها ما يدعو بشدة إلى التخييل والسحر، وخاصة في الجلسات العلاجية التي قد تخفى على الكثير بصبغتها العلمية.

فهذا فيلب فاربر أيضاً في النفس المكتملة يؤكد على أن السحر والبرمجة اللغوية العصبية هما عملة لوجه واحد، وهذا مطابق لما أشار إليه جرندر و باندلر سابقاً في علاقة السحر بالتقنية. ويقول فاربر: إن البرمجة اللغوية العصبية هي حالات الوعي التي يصنعها السحر. ويؤكد أن أداة الإرساء بأنواعها من أهم ممارسات السحر، وطريقتها البدائية كانت من أدوات التنجيم في السحر، وذلك أن النجوم الخمسة مرتبطة برموز معينة أو عناصر معينة: كالأرض، والهواء، والنار، والروح؛ ومن ثم التعبير عنها على شكل رسم أو

صورة، فعندها تحدث عملية الإرساء، فتشكل هذه الرموز خريطة العالم. وهذا هو الإرساء السحري بحيث تتم الملاصقة والإرتباط بالرموز اليومية عند الناس. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد) (صحيح أبي داود ٣٣٠٥). وقس على ذلك الكثير من هذه الأدوات الحديثة التي تنبع من المصدر نفسه كعملية الإرساء الصيني وغيرها المنتشرة في بلاد المسلمين هذه الأيام. وهذه قد أخذت منحنى آخر حيث قُدّمت على أنها من الطرق النفسية والإدارية؛ فَعَصْر العقل والذاكرة، ودقدقة المشاعر والأحاسيس، واسترجاع الأحداث بطرق شتى هي من وسائل عملية الإرساء السحري في هذه الأيام. ولذلك قد تُستخدم هذه التقنية في طرق غير أخلاقية، أو طرق غير شرعية؛ وخاصة عندما تُستخدم على أشخاص بدون علمهم أو رضاهم، وهذا فيه تدخل في الأمور الشخصية والأخلاقية، وتتنافى مع ما جاء به الشرع. فمن أهم مقاصد الشريعة الإسلامية الحفاظ على الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل. والمعاملات يجب أن تقوم على الطهر، وحسن النية، والصدق، والأمانة، فلا يجوز الخداع والتضليل والغش والكذب في تعاملات الناس مع بعضهم. و كذلك المنكرات لا ينبغي إقرارها في المجتمع الإسلامي. و يؤكد أنتوني روبنز على خطورة تقنية "NLP" حيث يقول: "أجد أنّ تقنية "NLP" تعمل بصورة مخيفة جداً حيث أن بإمكان أي شخص بواسطة التّدريب الرّديء عمل الكثير من الضّرر. و لم يكنّ هناك تحكّم في الجودة في مجال "NLP" والكثير من النّاس ينتشرون و يدرسون "NLP" بالرغم من كون معرفتهم قليلة جدًّا به. وتأدية طرق "NLP" هي مهارة. و ربّما يُوجد فقط واحد من عشرة ممارسي "NLP" في أعلى ١٠ % لمستوى مهارة "NLP" و ربّما حتّى أقلّ من ذلك".

****

الوقفة الثالثة: البرمجة و اختلاطها بالعلوم والفنون المختلفة

وفي هذا الوقفة الثالثة نراجع تداخل البرمجة مع بعض العلوم التي تدرس بشكل مستقل و منفصل كما سيأتي ذكرها لاحقاً. و ينبغي الإشارة في البدء إلى أن مدارس و مشارب البرمجة في الشرق و الغرب تشترك في أساسيات البرمجة كفلسفتها و فرضياتها و بعض تقنياتها الأساسية، و تختلف عن بعضها البعض في تقديم بعض المهارات و الأدوات و التقنيات و الممارسات و الرياضات، و التي قد لا توافق ثقافة ومعتقدات بعض المجتمعات وخاصة الإسلامية منها.

و على سبيل المثال، فبعض مدارس البرمجة من قد أدخل عليها أوهام الطاقة والشكرات و الهونا و الشامانية و الطب البديل و السحر و اليوغا و الرايكي و حركات البراعة الجسدية و العقائد والثقافات البوذية؛ لتتقوى دراسة البرمجة بها، و تُسوّق للناس، و تُثيرهم و تستثيرهم. و تداخل هذه العلوم و الفنون و الممارسات و الرياضات مع البرمجة و اختلاطها بعلوم الأعصاب والسيبرنتكس و النفس و التحليل النفسي الإدراكي السلوكي أو المعرفي و الاجتماع والإدارة والمنطق قد سبب إشكالاً بين طلابها و روادها و متابعيها في الشرق و الغرب. و هذه التداخلات في مواضيع البرمجة تُعتبر من أهم أسباب الإختلاف في فهمها و تحديد ماهيتها، فالبعض أدلى بدلوه متحمساً على أنها طريقة لتطوير الذات و ضبط النفس و علاج الأمراض النفسية، و البعض الآخر ركّز على تطبيقاتها المفيدة، و قلّ من درسها بشمولية كافية ترقى إلى مستوى النظر و إبداء الرأي الشامل و المتكامل. و الاختلاف في أمر البرمجة اللغوية العصبية ليس وليد اللحظة بل عند الغربيين أنفسهم قد أُختلف في أمرها اختلافاً كبيرا. و من أهم أسباب ضعف الرؤية في أمر البرمجة اللغوية العصبية أيضاً هو نابع من كونها فلسفة و تقنية يشوبها شيء من الهزل والضعف النظري العلمي الأكاديمي، كما أشار كلتون رودز أحد المتخصصين في البرمجة اللغوية العصبية في مقاله (ماذا عن NLP؟): (NLP، من الناحية الأخرى، حدسية وفلسفية في نظرتها، و تستمد اسسها و تقنياتها من علوم

التحليل النفسي العلاجي، و ترتبط أصولها بدراسة حافز الغيبوبة والتأثير والسحر. وهي نظرية ليست مفصلية، فمصطلحها وأسسها وفرضياتها محددة و غامضة أو سقيمة).

و كذلك، فإن البعض على مستوى العالم اعتبر البرمجة سبيلاً لتطوير و ضبط الذات والنفس والإتصال و مساعدة الآخرين. و البعض الآخر استخدم البرمجة في التأثير على الآخرين بإضافة بعض فنون الطاقة و التأثير التخييلي و السحر و غير ذلك مما ذُكر سابقاً. و أيضاً، تختلف ممارسات البرمجة و طرق عرضها و التدريب عليها بحسب ثقافة و خلفية و أهداف مدربيها. و للإشارة، فإن منهج دورات البرمجة اللغوية العصبية يخضع لمراقبة دقيقة و لصيقة من الإتحادات القائمة عليها ذات العلاقة و التي تمنح شهادات معتمدة لمتدربيها. و عادة هذه الإتحادات لا تُسوّغ للمدربين تجاوز الخطوط الأساسية المرسومة لهم في أداء و كتابة مقررات البرمجة اللغوية العصبية. و لذلك، فإن أمر تنقيح مقررات البرمجة اللغوية العصبية هي ليست على إطلاقها في أيدي و تحت تصرف المدربين من المسلمين، بل إنه يُشترط على المدربين من قِبل الإتحادات الغربية المختصة بشهادات البرمجة الامتثال بكامل مقررات البرمجة أثناء التدريب من دون تغيير أو حذف أو إضافة دون إذن مُسبق.

و برامج البرمجة الحالية و خاصة في الغرب ليست فقط منهج لضبط النفس أو الاتصال أو تحسين الذات، بل هي عبارة عن اعتقادات دينية و فلسفية و رياضات بوذية و هندوكية و فنون تأثيرية و مفاهيم مستوردة من علم النفس و الإدارة و لغة الأعصاب و غير ذلك من العلوم المتداخلة. و لذلك، فإن هذه العلوم المتداخلة لا تُعتبر من صلب البرمجة، و يُمكن طلبها منفصلة من جهتها الأصلية. فعلوم النفس تُطلب من علوم النفس، و علوم الأعصاب من علوم الأعصاب، و علوم الإدارة من علوم الإدارة و هكذا. و لو فصلت هذه المفاهيم العلمية من البرمجة لما بقيت على صلبها، و لهذا يُتعذر فصلهم عن بعضهم. فالبرمجة

الأساسية هي تقريباً عبارة عن فلسفات لاهوتية و أساليب محددة منها على سبيل المثال لغات ميتا و ملتون و النمذجة و خط الزمن و الترسيخ و الإرساء و الأُلفة و التنويم المغناطيسي. و هذه الفلسفات و الأدوات لا تقوم إلا على تقوية أدوات الاتصال و الخطاب و الإدارة و علوم النفس المعروفة. و لذلك، فالبرمجة ليست بعلم محايد، و إنما مجموعة من فلسفات و علوم و أدوات مختلطة لا يُمكن فصلها عن بعض، و إلا لسقطت البرمجة بكاملها. و نقطة مهمة هي أن البرمجة في أصلها شوائب كثيرة وهي متطورة يوما بعد يوم، و بذلك فبالإمكان دخول مستقبلاً علوم و تقنيات فرعية مبرهنة و ثابتة ربما لا تُخالف الدين في شيء وصالحة لنا لاعتبارها من العلوم المبرهنة الثابتة غير القابلة للشك. فإذن، لا ضير أن نأخذها إن توفرت لنا و تيقّنا من صحتها و مصداقيتها و اعتماديتها. فلا تُرفض أي حقيقة مبرهنة حاضراً أو مستقبلاً فيما حقول البرمجة.

و كذلك، فإن الملاحظ لتقنية البرمجة ربما ليتضح له بجلاء اختلاطها وتداخلها مع علوم و فنون أخرى كعلوم الإدارة خاصة و أهما فنون الاتصال وإدارة النفس وضبطها. وهذا الأمر ليس بالأمر المُستبعد حيث أنه لا يكاد يخلو علم أو تقنية من تداخلها مع فنون الإدارة. وذلك؛ لأن فن الاتصال وغيره ضروري خلال أي ممارسة ترتبط مع طرف آخر فهي لغة الحوار والخطاب، ومن خلالها تتحقق الأهداف المطلوبة. ففن الاتصال على سبيل المثال هو ركن أساسي لكل علم، ولكن ذلك لا يعني أن نُطلق الأمر على عنانه، ونقوم بتقسيم التقنية إلى إدارة وسحر أو تحليل نفسي. وذلك لسبب بسيط حيث أن علوم الإدارة مشتركة في كل تقنيات الحياة وعلومها، و تتوفر محتوياتها وأساليبها ومناهجها بطريقة مستقلة عن أي تقنية أخرى، و بالإمكان طلبها من مصادرها الرئيسة. فجميع تقنيات البرمجة اللغوية العصبية تعتمد على بعض فنون الإدارة في تطبيقها، وهذا لا يعني أن يُشار إلى أن البرمجة عبارة عن إدارة وتقنيات، وإن بالإمكان الفصل بينهما، و إخراج التقنيات المحظورة شرعاً! يُخطئ من يعتقد ذلك!

فكما أشرنا إلى أن من أراد تعلّم فنون الإدارة أو أي علوم أخرى متداخلة مع البرمجة و التي ليست من صلبها؛ فإن ذلك له ميادينه ومناهجه المؤصلة علمياً و الخاصة به. وأما من أراد تعلّم البرمجة كما هي في وضعها الحالي؛ فهذا يعني تعلّم السحر بعينه و ما يُخالف شرع الله تعالى، وما السحر إلا طريق تواصل وتصوير خفي دقيق مؤثر على حس الإنسان وعقله و روحه وبدنه. ولذلك، فإن فصلنا طرق التواصل ومعرفة النفس وضبطها من البرمجة فلن تكون هذه التقنية برمجة البتة؛ لانفصال الهدف من إيجادها في التأثير على وعي الإنسان الذي يعتمد مباشرة على هذه العناصر.

الوقفة الرابعة: البرمجة و أساليبها الظنية و الخفية في اللاشعور

وفي الوقفة الرابعة من هذه الورقة نتناول احتواء البرمجة على طرق وأساليب تعتمد على الظنون والذهنيات والخفيات والتعامل مع العقل اللاواعي في اللاشعور غير المكلّف (زعموا)، و التي ربما عادت على صاحبها ومتلقيها بالويل والثبور. فمثلاً، أساليب الألفة (الوئام أو التناغم أو الانسجام و التجانس) كما يُسميها أهل البرمجة اللغوية العصبية (Rapport) تُعتبر من أهم تقنياتهم، والتي هي في الحقيقة أساليب استدراجية، و فنون لخداع العقل و التمويه عليه و سرقة و خطف العقل ذهنياً و لا شعورياً للتأثير عليه. و هذا الأسلوب التأثيري يحاول من خلاله المبرمجون مجاراة و مشابهة و موافقة و مطابقة و محاكاة و تقليد الشخص المقابل في كلامه و صوته و نبراته و حركاته و وقوفه و وضعه و سكناته و شهيقه و زفيره، و لحن قوله و خطابه، و عكس نظامه التمثيلي و قناعاته و اعتقاداته و قيمه مؤقتاً (بعد دراسة الآثار والعواقب)؛ و من ثم قيادته و التأثير عليه (كالراعي و غنمه)، و تغيير قناعاته وفق ما يُراد له. و يؤكد روّاد البرمجة أن عمل مفتاح ما يُسمى بالألفة يتطلب تتبع الشخص، و مجاراته بسرعة فائقة؛ للبقاء في خارج وعيه الواعي، و التأثير عليه، و قيادته بتنفيذ رغبات ممارس هذه التقنية من غير علم العميل و شعوره غالبا.

و ما ذكر سابقاً هو لون من سحر و زخرفة القول و اللغة، و اللحن بهما على غير الحقيقة؛ للتأثير على الشخص المقابل، و إخراجه عن و عيه، و استمالة قلبه، و خداعه بالخطابات التنويمية الإيحائية. يقول الله تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (محمد: ٣٠).

و دين الإسلام دين ظاهر و جلي لا يعمل في الخفاء كالباطنية، و لا يظهر خلاف ما يبطن. و من تأمل هذا الأُسلوب المُسمى بـ"الألفة" المصطنعة في البرمجة (و الحقيقة هو الاستدراج و خداع العقل) فسيجده مخالفاً لمقاصد الشريعة من توقير و صيانة و حماية العقل و النفس. فأسلوب الألفة في البرمجة يفتقد غالباً الوضوح و سلامة القصد و الصدق و الأمانة، و ذلك من خلال استدراج المُؤثر عليه بكلمات و مجاراة و من ثم قيادته من حيث لا يشعر كقيادة الشاة للتأثير و تغيير القناعات دون علم صاحبها. و هذا مناف لمقاصد الشريعة، و فيه ذريعة لشر عظيم، و فساد كبير في الإغراء و الإغواء، و استدراج الآخرين في الضلال. و أيضاً، فيه صد عن شريعة رب العالمين و سنة رسوله و تعاليمه.

و في هذا الشأن، فقد أجريت دراسة علمية دقيقة و شاملة تتعلق بأهم أسس البرمجة اللغوية العصبية المرتبطة بـ "النظام التمثيلي الأساسي"، و التي قام بها الدّكتور مايكل هيب (أُستاذ الطب النفسي في جامعة شافيلد و سكرتير الجمعية البريطانية للتنويم المغناطيسي التجريبي والسريري)، و نُشرت هذه الدراسة في مجلّة المجلس الوطني للعلاج بالتحليل النفسي. فمفهوم النظام التمثيلي الأساسي في البرمجة اللغوية العصبية يُصنّف الناس إلى أنماط محددة حسب أنواع الحواس الخمسة الأكثر شيوعاً: "سمعي" و "بصري" و "حسي". فالبرمجة اللغوية العصبية تزعم أنه بالإمكان تقرير و كشف النظام التمثيلي الأساسي أو النمط الحواسيّ لأي شخص من خلال غالباً ملاحظة و اختيار بعض الكلمات الصادرة منه أو بمراقبة اتجاهات حركة العين. و معرفة النظام التمثيلي الأساسي يُساعد ممارسي البرمجة اللغوية العصبية في مرحلة الاتصال والوصول للطرف الآخر، و خاصة في تسهيل عملية الألفة و التأثير على الوعي في اللاشعور. و وجد الدكتور هيب

من خلال هذه الدراسة أن فرضية تحديد أنماط الأشخاص لتقرير النظام التمثيلي الأساسي من خلال حركات العين أو اختيار الكلمات الصادرة منهم لا تؤيدها الدراسة و لا تدعمها. و أيضاً، أوضحت نتائج الدراسة أن تحسين العلاقة مع العميل أو الزبون بمجاراة النظام التمثيلي الأساسي المفترض غير مجدية، و لا تدعمها نتائج الدراسة. فليس هناك دليل على أن التركيز على النمط و تطابق النميطات المفترض يضيف أيّ شيء أو يُسهّل من عملية الأُلفة. و على العكس و المثير جداً، فقد حضي بعض المعالجين الذين كانوا يجارون لغة زبائنهم على ثقة و فعّالية أقل!

و هناك ثمة سؤال يتبادر للذهن: لماذا يلجأ ممارسو البرمجة لاستعمال الطرق غير المباشرة و الظنية والخفية في معرفة أنماط الناس أو ما تخفيه أعينهم؟! أليس من الأجدى و الأنفع سؤالهم و معرفة ذلك مباشرة منهم بطرق طبيعية و ظاهرة إن كان ذلك نافعا؟!

و يقول الله عز وجل في محكم التنزيل مؤكداً على أن التأليف الحقيقي لا الاستدراجيّ من عنده، و هو وحده مقلب لقلوب، و هو يختلف في إطاره وأسلوبه و مقصده عن ألفة البرمجة اللغوية العصبية: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال: ٦٣). و قوله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران: ١٠٣). فالألفة الحقيقية الصادقة لا يتحصل عليها بالاستدراج و الخداع و لحن الخطاب؛ و إنما يُتحصل عليها من عند الله العزيز الجبار الغفور الودود الرحمن الرحيم، و بإتباع تعاليمه و أوامره، و اجتناب نواهيه. فالألفة و الوئام و المحبة و المودة تأتي بإتباع شرع الله و هدي نبيه صلى الله عليه و سلم. يقول الله تعالى مؤكداً على معان جليلة و أساليب لطيفة؛ لتحقيق الألفة الحقيقية المشروعة: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩). فلين الجانب و القلب و رحابة الصدر و سلامته مدعاة لتآلف القلوب و توادها و قبولها لبعضها. يقول صلى الله عليه وسلم مؤكداً على هذا المعنى القويم: (حرمت النار على الهين اللين، السهل القريب) (صحيح الترغيب 1747). و يقول أيضاً: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) (المسند الصحيح ٢٥٩٤). و يؤكد على جانب التواضع والتسامح الذي هما مقتضى المحبة و سر من أسرار الألفة، فيقول: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، و لا يبغي أحد على أحد) (السلسلة الصحيحة ٥٧٠).

و كذلك فإن الألفة الحقيقية تتحقق بتحقيق إخوة الإيمان و العقيدة و التحاب في الله، فتلك هي الألفة التي يرتضيها الله و رسوله. قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات ١٠). و يؤكد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الذي يرتبط بالدين و الإيمان بقوله: (المؤمن مألفة، و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف) (السلسلة الصحيحة ٤٢٥). و قوله: (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا. وشبك أصابعه) (الجامع الصحيح ٤٨١). و يضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في جانب الأخلاق و المؤازرة و التعاطف التي تزيد من الألفة بين المسلمين بمثال الجسد الواحد، فيقول: (ترى المؤمنين: في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) (الجامع الصحيح ٦٠١١).

و يطالب الدين المسلمين بدعم بعضهم لبعض و مراعاة حقوقهم البينية. يقول صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة). الجامع الصحيح ٢٤٤٢). و يؤكد صلى الله عليه وسلم على أساس التعامل الطاهر النقي بين المسلمين مع بعضهم البعض، والذي من شانه رفع مستوى الألفة بينهم، فيقول: (لا تحاسدوا. ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع

بعضكم على بيع بعض. وكونوا، عباد الله! إخوانا. المسلم أخو المسلم. لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى هاهنا" ويشير إلى صدره ثلاث مرات "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه) (المسند الصحيح ٢٥٦٤). و مما يزيد الألفة بين المسلمين هو جانب إحسان الظن بالبعض و عدم التجسس و لا التحاسد .يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث،ولا تحسسوا،ولا تجسسوا،ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم . المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، والتقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره – (ثلاث مرات) بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . (صحيح الترغيب ٢٨٨٥).

و يُعلّمنا الدين الإسلامي أساليباً تزيد من الألفة و المحبة الحقيقية، و تبعث على الصفاء و سلامة الصدور و المودة و الرحمة بين المسلمين مع بعضهم البعض، فيذكر مثلاً في:

(1) الإفصاح والإخبار بمحبة أخيك المسلم: (إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليبين له، فإنه خير في الألفة، و أبقى في المودة) (السلسلة الصحيحة ١١٩٩).

(2) السلام و المصافحة: (إن المسلم إذا صافح أخاه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر) صحيح الترغيب ٢٧٢١). و قوله: (تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت، وعلى من لم تعرف (الجامع الصحيح ٦٢٣٦).

(3) الدعاء في ظهر الغيب: (دعوة المسلم لأخيه، بظهر الغيب، مستجابة. عند رأسه ملك موكل. كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين. ولك بمثل (المسند الصحيح ٢٧٣٣).

(4) طلاقة الوجه و التبسم: (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة) (صحيح الترغيب ٢٦٨٥). و قوله: (كل معروف صدقة، و إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، و أن تفرغ من دلوك في إناء أخيك) (صحيح الأدب ٢٣٣).

(5)التهادي: (تهادوا تحابوا) (إرواء الغليل ١٦٠١).

و ما ذُكر سابقاً هو فقط شيء يسير و غيض من فيض من كنوز هذا الدين الإسلامي العظيم. و هذه هي المعاني و القيم التي ينبغي أن ينبري لها المسلمون، و يُحرصوا على ترسيخها و تطبيقها عملياً على وجه هذه البسيطة بين المسلمين. فلماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!؟ فتعاليم ربنا و رسولنا واضحة كالشمس في رابعة النهار. فلماذا نغرس في أبناء الإسلام أساليباً و مؤثرات لا تنفعهم في دينهم مع أن الشرع أتى بالكمال في كل شيء؟!

فالمطلوب إذن هو الألفة و المحبة في الله عز وجل، لا استدراج الآخرين ولو كان لأهداف إيجابية، و الغاية لا تبرر الوسيلة. و الإسلام يشترط ألا تكون فقط النية سليمة صالحة، و لكن ينبغي أن يتبعها و يرتبط بها عمل شرعي صالح صائب. فالإسلام لا يقبل الوصول إلى الغايات الطيبة بوسائل غير شرعية فاسدة. فكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، فقد أجمع أهل العلم و السلف الصالح على أن العمل المقبول شرعاً يجب فيه اجتماع الإخلاص والصواب. فإخلاص العمل يتأتى بكونه لله عز وجل خالصاً لوجه الكريم، و الصواب بكونه على هدي النبي صلى الله عليه وسلم و إتباعه.

فالإسلام دين مبادئ و قيم و أخلاق. فمن مزايا الإسلام أنه ربط المبادئ و القيم و الأخلاق بأي عمل حتى يُضبط أمره، و لا يخرج عن الإطار الإسلامي المشروع، والذي يتماشى مع الطبيعة الإنسانية. فجميع شؤون هذه الحياة مرتبطة بالجانب الأخلاقي الإسلامي، و إلا لفسدت العلوم و الثقافات و التقنيات بتوظيفها بخلاف ما يرتضيه رب العالمين. و هذا هو الفرق الدقيق والحرص الشديد على جانب المبادئ و القيم و

الأخلاق بين الدين و الحضارة الإسلامية و غيرها من الحضارات و الأمم. فالغرب لا يكترث لهذه الجوانب المهمة، و تجده ينتج المفسدات و ما يضر البشرية و ما فيها.

و للإشارة أيضاً، فإن ما يُطرح في تقنيات البرمجة اللغوية العصبية من أمور ظنية ذهنية و خفية، وكشف ما بداخل الناس من أسرار وخفايا تخص المتلقي، لم تُشرع لنا معرفتها، وهي أمور ما أنزل الله بها من سلطان في جانب الدعوة الإسلامية. فهذه أمور ظنية قابلة للصواب والخطأ. والمطلوب هو السعي الصالح في الدعوة والبلاغ المبين والنتائج علمها عند الله تعالى. و هداية الناس بيد الله تعالى وحده. ولنتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، ثم يقول رسول الله: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك) (السلسلة الصحيحة ١٦٨٩). ونصوص الكتاب والسنة شملت على أهم عناصر ومعاني الدلالة والإفهام المشروعة كعلم المتكلم بما يريد إخباره وقدرته على الإفصاح والبيان وصدقه وأمانته وحرصه. أما عكسها فالدين بريء منها كالجهل والكذب والغش والتدليس وعدم أهلية المتكلم في التبليغ والإفصاح.

وينبغي الإشارة إلى أن الناس مختلفون في خلقهم وطباعهم وعقولهم وقلوبهم وأحاسيسهم وتصرفاتهم وغيرها، وذلك من أجل حكمة أرادها الله عز وجل؛ فلا ينبغي الغلو في التفكير والفلسفة الزائدة المنافية للدين. ومع ذلك ينبغي للمسلم أن يكون ذو همة عالية في طلب العلم الصالح، والرزق، والعبادة، وغيرها من الأمور المشروعة، وذلك بالتوكل على الله تعالى وبذل الأسباب. فدين الإسلام دين وسط في كل الأمور، فلا إفراط ولا تفريط. وينبغي أن نعي أنه لا يخلو أي عمل بشري من النقصان، وربما كان فيه من الحسن والسيئ. وهذه الأعمال ينبغي أن تُرد للدين لبيان الحكم فيها، وخاصة المستجدة منها. فالخمر والميسر قد حُرما، وقال فيهما عز وجل: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا(٢١٩)) (البقرة).

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

الوقفة الخامسة: المحاذير الشرعية و العلمية في البرمجة

وفي هذا الوقفة الخامسة نتطرق إلى بعض المحاذير الشرعية و العلمية التي اشتملت عليها البرمجة اللغوية العصبية. و هذا المبحث عبارة عن نقاط محددة و ملخصة لما نُوقش في الوقفات السابقة، وذلك لتسليط الضوء والتنبيه على بعض ما تحتويه هذه البرمجة. فأما الإيجابيات التي هي ليست من صلب البرمجة و إنما مستقاة من علوم مبرهنة في علوم النفس و السلوك و الإدارة و الأعصاب و غيرها، فتتمثل إجمالاً بالتعرف على شخصية الإنسان و طرق تفكيره و سلوكه و أدائه و قيمه و معتقداته و عوائق الإبداع و التفوق من خلال معرفة مفاهيم و أساليب علوم اللغة و الإدارة و النفس.

و أما المحاذير فتتمثل في الآتي:

١. اعتماد البرمجة في أصولها و جذورها و منطلقاتها و مسلماتها على عقائد و فلسفات فاسدة كوحدة الوجود و قوانين العقل الباطن و غيرها المتمثلة في فلسفة العصر الجديد المنبثقة من الفلسفة الباطنية الشرقية و القبلانية و الثيوصوفية و اليونانية و البوذية و الهندوكية.

٢. جذورها و أسسها و قواعدها و مبادئها مستقاة من علوم التأثير التخييلي و فنونه بصياغة عملية مطقسة.

٣. التعلق اللامحدود بقوة ما يُسمى بالعقل الباطن أو اللاواعي غير المبرهن علمياً و إعطاءه قدرات خارقة غير محدودة و أنه الحل المُطلق للنجاح و السعادة.

٤. الدعوة التطبيقية إلى التعلق بالبرمجة (التي تخلو من التأصيل الشرعي) و صدها عن تعاليم كتاب الله تعالى و سنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم.

٥. استخدامها أدوات و تقنيات و أساليب و طرق مؤثرة على الجهاز العصبي تُقدّم لعامة وخاصة الناس من غير تفريق، والتي من خلالها إمكانية إحداث التغيير التأثيري المطلوب في عقل و تفكير الإنسان و سلوكه و شعوره و فسيولوجيته من غير علمه و شعوره.

٦. تعلم طرق عملية و رموز و طقوس غالباً تكون خفية و غامضة على كيفية السيطرة و التأثير و التلاعب بوعي الإنسان و معتقداته و قناعاته بحيث يتمكن المُمارِس من التصرف في خيال الفرد و مشاعره و تفكيره و سلوكه و اللعب في جهازه العصبي بحيث يرى ويحس ما يُراد له أن يرى ويحس به.

٧. زخرفة اللغة و القول واللحن بهما على غير الحقيقة للتأثير على الآخر و استمالة قلبه و خداعه.

٨. اعتمادها على أمور ظنية ذهنية في معرفة الآخر وكشف أسرار نفسه وهي قابلة للصواب والخطأ.

٩. كون نتائجها و تقنياتها غير مضمونة و التي بإمكانها إحداث تغييرات فسيولوجية و عقلية لا يمكن التحكم بها.

١٠. فقرها إلى التأصيل العلمي المبرهن المعتمد و جودة التحكم و الرقابة.

و الحاصل أن ما ذُكر آنفاً يوضح بجلاء حقيقة فلسفة وفيروس العصر، وكل ذي لب وبصيرة يُدرك عواقب التساهل في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. و ينبغي أن يُفهم أن جانب الرفض لهذه التقنية يكمن في كونها أداة للتلاعب بالإنسان بفصله عن وعيه و شعوره، و التأثير عليه بوسائل الممارسين الخفية. وينبغي الإشارة إلى أن هذه الفلسفة قد جمعت من الأساليب المشروعة وغير المشروعة. فتنمية المهارات و القدرات في فنون الاتصال، و معرفة النفس و الآخر، و الحجة الصادقة، و الإقناع غير المُلبس، و التودد، و الرفق، و اللين، و المرونة، و التأمل، و التدبر، و النظر في الماضي و الحاضر والمستقبل ودراساتها، و تقوية الذاكرة و العقل، و حضور القلب و خشوعه، و محاسبة النفس، و تقدير و تحقيق الذات، بالطرق المشروعة الظاهرة دون التلاعب بعقل و حواس و وجدان الإنسان كلها من الأمور المشروعة التي يحث

عليها الدين. أما استغلال تلهف الناس لتقوية عوامل النجاح عن طريق محاولة تحقيق هذه المهارات و القدرات بطرق عمليات تأثير وتغييب الإنسان عمّا يُقيمه في حياته من تنويم إيحائي وتخدير وإرساء ذهني و تطابق نميطات و إطارات و تمثلات و غيرها؛ فهذا هو المرفوض في ديننا، و ذلك من أجل الحفاظ على الدين والنفس والعقل والمال والعرض. و إعادة لما نُوقش سابقاً فإن التأثير أو نوعية سحر التخييل في البرمجة اللغوية العصبية يكمن في جعل الضحية أو المريض ضمن مُتخيل أو إيحاء أو إطار معين اجتماعي أو نفسي متسم بعلاقات ومعالم رمزية غامضة؛ لتحقيق التأثير المطلوب.

خـاتـمـة

لقد تم في هذه الورقة المختصرة من بيان المفاهيم المتعلقة ببرمجة اللغة العصبية، وهي العقل والعلم والسحر و العصر الجديد. وقد أُشير إلى وجه المحاولة القديمة إلى تقريب الخطاب السحري للعلم. وأيضاً تم التفصيل في سحر التخييل وسحر اللغة أو البيان أو الكلام، وفي بيان علاقتهما بالبرمجة اللغوية العصبية. وكذلك نُوقشت بعض الأمور المترتبة على هذه التقنية وأخطارها. وبذلك يطمئن الرأي وفقاً لما أُطلع عليه، و وُضّح في هذا السياق بأن ما يُسمى بالبرمجة اللغوية العصبية هي فن خداع العقل و الحواس، وتطور لما يُعرف بالتنويم المغناطيسي، و كله ضرب من التأثير التخييلي، وذلك باعترافات المختصين بهذه التقنية ومطوريها كباندلر و جرندر و وليامز، و بولستاد، و فاربر وغيرهم حيث أكدوا أنها سحر تطبيقي.

وينبغي الإشارة إلى أن جميع مدارس ومشارب البرمجة في الشرق والغرب تشترك في أساسيات البرمجة كفلسفتها وفرضياتها وبعض تقنياتها الأساسية. ويختلف بعضها عن بعض في تقديم بعض المهارات والأدوات والتقنيات، و التي قد لا توافق ثقافة ومعتقدات بعض المجتمعات وخاصة الإسلامية. فعلى سبيل المثال، نجد من مدارس البرمجة من قد أدخل عليها أوهام الطاقة والشكرات والهونا والشامانية والطب البديل والسحر وحركات البراعة الجسدية والعقائد والثقافات البوذية من أجل أن تتقوى دراسة البرمجة بها و تُسوّق للناس. و من جهة أخرى فإن تداخل البرمجة مع فنون أخرى كالإدارة والنفس والاجتماع والإتصال والأديان الأخرى وعلوم الطاقة وغيرها قد أشكل على طلابها بحيث أُخذت وأُعتبرت البرمجة على أنها سبيل لتطوير الذات والنفس والإتصال وغير ذلك من الأمور المباحة شرعاً والمرغوبة نفسياً من قبل البعض. والحقيقة أن البرمجة عبارة عن خليط مضطرب من فنون مشروعة وغير مشروعة ليتقوى بعضها ببعض وتُثير الناس وتستثيرهم. وللتنويه فإن الفنون المختلطة مع البرمجة كفنون الإدارة العامة وأهمها فنون الاتصال وإدارة النفس وضبطها يُمكن طلبها مستقلة بطريقة ظاهرة مشروعة. و لهذا ينبغي تحديد مفاصل البرمجة وتحديد مسارها وتصفيتها

وتوضيحها للناس، والتي أثّرت على الناس فأصبحت تُمارس من قبل العامة والخاصة من غير رادع أو ضابط أو رقيب. و لربما هذه الأمور مقبولة عند الغربيين؛ لأنها لا تُعارض ثقافاتهم ولكنها بالتأكيد غير مقبولة في الإسلام لمخالفتها العديدة. و الدين الإسلامي قد قدّم للإنسان ما يُسعده في الدنيا والآخرة من أمور عدة وخاصة المتعلقة بالروح والعقل والنفس، وما على المسلم إلا الإتباع والموافقة لهدي القرآن والسنة المطهرة، فهذه الثقافات الوافدة احتوت على أمور خطيرة تنافي أمور العقيدة الإسلامية. و ليُعلم أن أمر وعمل الروح والعقل والنفس من الأمور الغيبية التي لم نُتعبد للتعمق بها. والبرمجة اللغوية العصبية وغيرها من العلوم الوافدة تُحاول أن ترصد وتكشف محدودية الدماغ والنفس والحواس من أجل التأثير على المتلقي. فالبصر له حدود، والسمع له حدود، و موجات الدماغ لها حدود، والتي ربما عمل صاحب هذه الثقافات على معرفتها و تجاوزها للسيطرة والتأثير على الآخرين.

و أهم أسباب الإختلاف في فهم أمر البرمجة اللغوية العصبية هو عدم تغطيتها بنظرة شمولية ثاقبة من بعض الناظرين فيها. فالبعض أدلى بدلوه متحمساً على أنها طريقة إلى تطوير الذات وضبط النفس وعلاج الأمراض النفسية، و بعضهم ركّز على تطبيقاتها المفيدة، و قلّ من درس شأن البرمجة اللغوية العصبية بشمولية كافية ترقى إلى مستوى النظر وإبداء الرأي المتكامل فيها. والاختلاف في أمر البرمجة اللغوية العصبية ليس وليد اللحظة بل عند الغربيين أنفسهم قد أُختلف في أمرها اختلافاً كبيرا. ومن أهم أسباب ضعف الرؤية في أمر البرمجة اللغوية العصبية هو نابع من كونها فلسفة وتقنية يشوبها شيء من الهزل والضعف النظري العلمي الأكاديمي، كما أشار أحد روادها الذي ذُكر سابقاً بأنها ذات طابع حدسي وفلسفي النظرة، وهي نظرية ليست ثابتة مؤصلة و مفصلة على أساس علمي وتجريدي، فمصطلحها وأسسها وفرضياتها غامضة أو سقيمة، حيث أن مُسلّمات البرمجة أو فرضياتها المتداولة بين أصحابها لا ترتقي إلى درجة الإثبات العلمي الأكاديمي المعروف. و فرضيات البرمجة لم تُثبت مع أنها قد اعتمدها أصحابها على

أنها دعائم و ركائز للبرمجة. فكيف تُنشر على أنها علم أكاديمي وهي لم تُبرهن؟! وكيف تُقدم للناس وهي لم تُثبت؟!

ونشير إلى أن الخير كل الخير في الإسلام و كنوزه، و من يطلب السعادة المطلقة أو النجاح والقدرة فإن ذلك الأمر لا يستقيم و مخالف للدين. و من أراد السعادة الحقيقية والحياة الطيبة فليطلبها من مُقدّرها و واهبها سبحانه. يقول الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧). فالأذكار، وتلاوة القرآن، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من العبادات هي الأدوات الحقيقية لنيل رضا الرحمن والحصول على سعادة الدنيا والآخرة. ولصلاة الليل لذة و حلاوة لمن طلبها بحقها، و في الواقع أن من أهم علاجات الأمراض النفسية يُتحصل عليها بالقرب من الله عز وجل والتعلق به. يقول سبحانه و تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (الجامع الصحيح ٦٥٠٢).

و مما يُخشى أن تُلبس هذه التقنية على الناس أمور دينهم، وتستل من صدورهم الإيمان، وما ترسخ في أنفسهم من عقيدة صحيحة، وتجّر إلى مزيج خبيث مضطرب من الأفكار والاعتقادات الفاسدة، والخيالات، والأباطيل، والظنون، والأوهام. و أيضاً مما نخشى أن تبلغ هذه التقنية في الناس مبلغاً عظيماً حتى تُشكّكهم بعقيدتهم وثوابتهم الدينية. و الفساد والانحراف في الأمة يبدأ بكل ما هو حسن ومرغوب، فيستشري في الأمة حتى يُحدث اضطراباً؛ فتُخل الموازين، ويرتاب المسلمون بدينهم. ونُذكّر بقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً

(٥١)) (النساء). و الجبت هنا السحر. و قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) } (آل عمران). ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) (شرح الطحاوية ٧٧٧). وأسأل الله عز وجل أن يفتح علينا جميعاً وأن نكون ممن قال فيهم رسوله: (إن من أمتي قوما يعطون مثل أجور أولهم ، ينكرون المنكر) (السلسلة الصحيحة ١٧٠٠).

و نؤكد على أن ما يميزنا نحن المسلمون عن غيرنا هي عقيدتنا التي ينبغي أن نُحافظ عليها، و أن نحتكم إليها، و نقوّم العلوم على ضوئها حتى نتفادى خطر العلوم الوافدة بماديتها و إلحاديتها البحتة، والتي قد تنعكس سلباً على المجتمعات الإسلامية. فالمعايير التي ينبغي أن نحتكم عليها هي معايير الشرع الحكيم. و الخير كل الخير في تحقيق و إتباع مبادئ هذا الدين الإسلامي و تعاليمه، فهي بإذن الله العاصمة و الكفيلة بإسعاد و إصلاح النفس و المجتمعات، و تحقيق الهوية الإسلامية المنشودة. فالدين الإسلامي جاء بالخير الكثير، و على أهله حمله بحق، و تقديمه للناس ليكون حجة عليهم. و كذلك فإن إقامة الدين الإسلامي كما شرعه الله بأركانه و أصوله و فروعه خير كفيل لهداية النفس و إسعادها و إصلاحها، و علينا طلب المسببات من أسبابها التي ربطها الله بها. فالتعلق بالله و التوكل عليه و عبادته هي بإذن الله من أسباب تحقيق سعادة الإنسان و ثباته و اطمئنانه في الدنيا و الآخرة. فمن أراد السعادة الحقيقية و الحياة الطيبة فليطلبها من مُقدّرها و واهبها سبحانه. يقول الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧). و يقول سبحانه و تعالى في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،

ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (الجامع الصحيح ٦٥٠٢).

و لذلك ينبغي أن يحرص المسلمون على دينهم وعقيدتهم وقيمهم التي حُكمت بضوابط تحمي المسلم من الانحراف و الفساد والتلاعب في الضروريات الخمس التي كفلها وصانها الإسلام. فإن في ديننا الإسلامي الخير كله، والعلم والتراث الكبير الذي سبق به الأمم، و هذا و لله المنة من مُعجزات هذا الدين. و مما يُوصى به على المهتمين بتقنية البرمجة اللغوية العصبية والمسؤولين في الأمة الإسلامية الآتي:

- التحذير من سلبيات و تأثير البرمجة اللغوية العصبية على العقيدة الإسلامية- وإن كنا نعلم أن من بعض الأخوة المدربين والممارسين لهذه التقنية من المسلمين حرص على إخراج بعض الأمور المحظورة منها عند تقديمها للمتدربين. و لكن هذا لا يكفي؛ لأن مجرد الاحتفاظ بمُسمى هذه التقنية أو الفلسفة يكمن فيه خطر الترويج لها بإيجابياتها وسلبياتها التي لا تعود على الأمة بالنفع على المدى القريب ولا البعيد.
- التركيز على إيجاد برامج عملية جديدة تُعزّز من محاسبة وإصلاح النفس البشرية بجمع الأقوال والأفعال من ديننا والتي لها صلة مباشرة في أمور العقل والقلب والروح والنفس، و تطوير منهج عملي إسلامي. و يُحبذ أن يُستمد مسمى البرنامج من تراثنا الإسلامي كمسمى "إصلاح النفس" أو "تهذيب النفس" أو "ضبط النفس" أو "تغيير النفس بالإسلام" أو نحوها. يقول الله عز وجل: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد ١١).
- التركيز على شخص وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في التوجيه؛ فهو المعيار الحقيقي في مثل هذه الأمور. يقول الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)) (الممتحنة).

- الالتزام بما هو ظاهر ومعروف، وليس له علاقة بجانب الغيب والباطن والخفاء والذي هو في علم الله تعالى.
- التعامل مع الآخرين برفق وخاصة للدعاة، وفي مصب جانب الإبلاغ في الدعوة دون الولوج في متاهات الذهنيات و الظنيات. يقول الله تعالى: (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ (٨٢)) (النحل).
- التركيز على أهمية جانب الأخلاق وحقوق الآخرين.
- مراعاة الفروق البشرية بشتى أنواعها، والتي فطر الله الناس عليها. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) (صحيح الأدب ٦٩١).
- التركيز على إصلاح الذات دينياً والاهتمام بالأمور الأساسية في الدين كالصلاة والذكر والتقوى. يقول الله تعالى: (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) (٢٨٢) (البقرة).
- التركيز على العلوم النافعة الشاملة الظاهرة التي تنهض بالفكر والنفس والقلب. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) (صحيح مسلم: ٤٠٠٥).

تمت هذا الدراسة المبدئية بحمد لله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه: د. عوض بن عودة
(oadahao@yahoo.com)

المراجع باللغة العربية

- "القرآن الكريم".
- إحياء علوم الدين–الغزالي.
- أصول الدعوة–عبدالكريم زيدان.
- الإنسان بين السحر والعبث والجان–زهير الحموي.
- الإيمان–ابن تيمية.
- تحصين أهل الإيمان من العين والحسد والسحرة والشيطان–جمال الصاوي.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير القرطبي.
- التفسير القيم–ابن القيم.
- تلبيس إبليس–ابن الجوزي.
- دليل السائلين–أبو داود.
- زاد المعاد في هدي خير العباد–ابن القيم.
- السحر الجديد–مرزليك.
- سحر الفم–دلينباك.
- سحر المجاز العقلي–باتسون.
- السلسلة الصحيحة–الألباني.
- شخصية المسلم–محمد الهاشمي.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية–محمد خليل هراس.
- شرع العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية–ابن أبي العز.
- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار–وحيد بالي.
- صحيح ابن ماجة–الألباني.
- صحيح أبي داود–الألباني.
- صحيح الأدب–الألباني.
- صحيح البخاري–فتح الباري لابن حجر.
- صحيح الترمذي–الألباني
- صحيح الجامع–الألباني.

المراجع باللغة العربية (تكملة)

- صحيح مسلم–شرح النووي.
- صيد الخاطر–ابن الجوزي.
- الطب والرقية–البخاري.
- الطرق الحسان في علاج أمراض الجان–خليل بن إبراهيم أمين.
- ظلال القرآن–سيد قطب
- عالم السحر و الشعوذة–الدكتور عمر الأشقر.
- عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين–الغامدي العبدلي.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد–عبدالرحمن آل الشيخ.
- فقه السنة–السيد سابق.
- الفقه الميسر في العبادات والمعاملات– أحمد عاشور.
- قدرات غير محدودة–روبنز.
- قوة عقلك الباطن–ميرفي.
- لسان العرب–ابن منظور.
- مجموع الفتاوى–ابن تيمية.
- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- مجموعة فتاوى فضيلة الشيخ محمد الصالح بن عثيمين.
- مدارج السالكين–ابن القيم.
- مذاهب فكرية معاصرة–محمد قطب.
- المغني–ابن قدامة.
- المنتقى شرح موطأ مالك.

****

المراجع باللغة الإنجليزية

- Andreas, C. and Andreas, T. *Core Transformation,* Real People Press, Moab, 1994.
- Andreas, S. *Virginia Satir: The Patterns of her Magic,* Science and Behaviour, Palo Alto, California, 1991.
- Ault, Van. (When Magic Does not Work).
- Bandler, R. *Magic In Actio*n, Meta Publications, Cupertino, 1984.
- Bandler, R., Grinder, J. and DeLozier, J: *The Hypnotic Patterns of Milton H. Erickson M.D.* Meta Publications, Vol. 2 1988
- Beale, Russ (Beyond NLP).
- Bolstad, R. 'The Truth Beyond Magic.' *Anchor Point*, December 2002.
- Bolstad, R. and Hamblett, M. *Transforming Communicatio*n, Addison–Wesley-Longman, Auckland, 1997.
- Crowley, Aleister. (The Initiated Interpretation of Ceremonial Magic).
- Cunnington, Ricky. (Archetypes).
- Dilts, R. *Modelling With NLP* Meta Publications, Capitola, California, 1998.
- Dilts, R. and DeLozier, J. *Encyclopedia of Systemic NLP*, NLP University Press, Scotts Valley, 2000.
- Farber, Philip. (Hypnosis and Ritual Magick) and (Self-Perfection), 2002.
- Yue, F. (Magic Models).
- Grinder, John. (How to allow innovation in an inherently conservative system).
- Grinder, J. and Bandler, R. *The Structure of MagicI*I, Science and Behaviour, Palo Alto, California, 1976.
- Grinder, J. and Bandler, R. *The Structure of MagicI*II, Science and Behaviour, Palo Alto, California, 19٨٠.
- Hayut-Man, Y. (*The Cybernetics Basis for Human Reconstruction: An application for the Middle East*, PhD-1981)/ Realizing The Heavenly Jerusalem.
- Heller, S. and Steele, T. *Monsters and Magical Stick*s, Calabasas Press, Los Angeles, 1992.
- Hicks, Brad. (Satanic church).
- Hole, Stephen M. (Religious Movements).
- Kihonua. (Huna Today).
- Lawley, J. & Tompkins, P. *Metaphors in Mind: Transformation through Symbolic Modellin*g, The Developing Company Press, London, 2000.
- Michael and Bodenhamer. 'Simply Introducing NLP.' *Neurosemantics*, 2001.
- Min, Bodenhamer and Hall, Michael. (The Magic of Conversational Reframing).
- Pearson, Judith. (The Secrets of Magic by Michael Hall)
- Pearson, Judith. (Understanding NLP: Metaphors for Change).
- Robbins, Anthony. (Comments on NLP Practice).
- Rhoads, Kelton. (What About NLP?).
- Rolef Ben–Shahar, A. 'A Myth of Transition Modelmaking and transitional stages of reality formation as expressions of spiritualit*y.' Anchor Poin*t, September 2001.
- Scorpio, Dan. (True Magic).
- Shorter Oxford English Dictionary.
- The First Institute. (NLP).
- Walker, Lewis. (Changing With New Code NLP).
- Welz, Karl. (Magic of The Future).
- Wier, Dennis. (Trance as a Tool).
- Williams, A. *The Passionate Technique,* Tavistock/ Routledge, London, 1989.
- Williams, Brandy. (NLP: Applied Magic).